يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني
2008

النشرة الأسبوعية
جويلية 2008

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات جويلية 2008

المجلد 2، الجزء 11 – أسبوع 3 – جويلية 2008

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــه و إضطـرابـــه

... قـــــراءة مـن منظـــور تطـــوري

بروفســـور يحيـــى الرخـــاوي

أسبوعيـــات جويليـــــة 2008

الفهـــــــــــرس

الثلاثاء 2008-07-01:	
305- ملف الحب والكره	2370
الإربعاء 2008-07-02:	
306- مقتطف وموقف عن الأدوية الجديدة باهظة الثمن	2380
الخميس 2008-07-03:	
307- أحلام فترة النقاهة "نص على نص"	2384
الجمعة 2008-07-04:	
308- حوار/ بريد الجمعة	2386
السبت 2008-07-05:	
309- الامتحانات، وقيمة اسمها "العدل" !	2398
الأحد 2008-07-06:	
310-الإشراف على العلاج النفسى (11)	2400
الإثنين 2008-07-07:	
311- يوم إبداعى الخاص: قصيدة	2408
الثلاثاء 2008-07-08:	
312- إجابات لأسئلة ليس لها إجابات (1من2)	2411
الإربعاء 2008-07-09:	
313- إجابات لأسئلة ليس لها إجابات (2من2)	2418
الخميس 2008-07-10:	
314- أحلام فترة النقاهة "نص على نص"	2424
الجمعة 2008-07-11:	
315- حوار/ بريد الجمعة	2427
السبت 2008-07-12:	
316- قصيدة اسمها: عبد الوهاب المسيرى	2439
الأحد 2008-07-13:	
317- زخم الطاقة، والإيقاع الحيوى، واختيار الجنون	2442
الإثنين 2008-07-14:	
318- يوم إبداعى الخاص: قصة قصيرة	2455

الثلاثاء 2008-07-15:
319- عودة إلى: ملف الحب والكره 2458
الإربعاء 2008-07-16:
320- عودة إلى: ملف الحب والكره 2462
الخميس 2008-07-17:
321- أحلام فترة النقاهة "نص على نص" 2465
الجمعة 2008-07-18:
322- حوار/ بريد الجمعة 2468
السبت 2008-07-19:
323- جدوى الكتابة: بين دموع الشعب ونفاق الحكومة 2483
الأحد 2008-07-20:
324- استشارات مهنية (6) 2485
الإثنين 2008-07-21:
325- يوم إبداعى الخاص: المقامات 2496
الثلاثاء 2008-07-22:
326- ملف الحب والكره (1من 2) 2498
الإربعاء 2008-07-23:
327- ملف الحب والكره (2من 2) 2508
الخميس 2008-07-24:
328- أحلام فترة النقاهة "نص على نص" 2512
الجمعة 2008-07-25:
329- حوار/ بريد الجمعة 2515
السبت 2008-07-26:
330- تألّم: الصورة تطلع "حقيقية"!! 2527
الأحد 2008-07-27:
331- استشارات مهنية (7) 2529
الإثنين 2008-07-28:
332- يوم إبداعى الخاص قصة قصيرة (!!!) 2538
الثلاثاء 2008-07-29:
333- استدراك حول فرض"العين 2544
الإربعاء 2008-07-30:
334- الوجدان واللغة والترجمة (!!2008) 2546
الخميس 2008-07-31:
335- أحلام فترة النقاهة "نص على نص" 2553

الثلاثـــــاء 22-07-2008

326- ملـــــف الحـــــب والكـــــره (1من 2)

تراجع أم مراجعة؟ (1 من2)
عن "الكره" و "الكراهية"
خبرة شخصية حديثة !!

مقدمة:

يبدو أن المسألة تزداد صعوبة من واقع الممارسة

حمدت الله أنى أجلت النقاش إلى مابعد إتاحة الفرصة للاستجابة لأكبر قدر من الألعاب، خاصة العشرين لعبة الخاصة بالحب، التى نعيد نشرها كملحق لنشرة الغد الجزء الثانى من المراجعة، لأنه لم يصلنا حتى الآن سوى خمسة مشاركات. كما ننشر بالإضافة اليوم العشر لعبات الجديدة عن الكره، كملحق خاص.

نأمل بعد كل ذلك أن نقر أننا بصدد "منهج مختلف" ليس بالضرورة أكثر مصداقية، أو أدق رصدا، وإنما ما وصلنى حتى الآن هو أن هذا المنهج يكشف عن بعد **"آخر"** للظاهرة التى نسميها **"العواطف"** أو **"الوجدان"**.

خبرة شخصية مررت بها هذا الأسبوع، نبّهتنى إلى أن ثمة علاقة بين ما أحاول توصيله فيما يتعلق "بكلية المعرفة" و"نوعية الوجود"، **وبين حدود المنهج الذى نحاول معاً استكشاف أبعاده**

تزداد المسألة صعوبة، فعلا، وهذا جيد، لكنه أمر يحتاج تحمل ومراجعة حتى تتضح الأمور بشكل مقبول، ولو نسبيا.

حين هممت أن أكتب نظرية عن العواطف (أو الانفعال.أو المشاعر.أو تطور الوجدان..إلخ – لاحظ الترادف المزعج) سنة 1974 تعجبت من، ثم أعجبت بـــ سيجموند فرويد حين اكتشفت أنه لم يكتب نظرية مستقلة عن ما يسمى الوجدان (أو الانفعال أو العواطف..)، كما أن كارل يونج كاد يعتبر أن مجرد ظهور الانفعال مستقلا هو فى ذاته أمر غير طبيعى، فلم يفرد له ما يختص به. فى أطروحة جان بول سارتر"نظرية فى الانفعالات"، اختلطت المسائل – عندى- ولم تزدنى نظريته إلا رفضا للتنظير، فلماذا أحاول أنا التنظير بعد كل ذلك؟

رحت أقلب فى كراساتى التى كُتبت بالقلم الجاف سنة 1974 الواحدة تلو الأخرى ووجدت اتساقا مهما، وتنظيرا يبدو منطقيا، بدءا بالرجوع للمعاجم العربية أساسا، ثم انطلاقا من التعريف المعجمى بالنسبة لكل عاطفة، ثم توقفت بعد أن كتبت أربعة كراريس بالتمام والكمال، ويبدو أنى كنت محقا فى التوقف.

هل يمكن أن أرجع سبب هذا التوقف إلى أنه فعلا موضوع لا تجوز الكتابة فيه أصلا؟

ربما.

لكن لو أننا تخلينا عن مسئولية المحاولة، فعلينا أن نرضى بالمناهج القائمة، مهما بدت قاصرة أومُعَقْلنة.

من أولويات هذه النشرة، ومن قبلها مجلة "الإنسان والتطور"، أن نجتهد فى "نقد النص البشرى"، بمعنى النقد الأشمل، بما يشمل الاشتراك فى إعادة إبداعه، ومن أهم التجليات الواجب نقدها ما شاع عن النص البشرى فيما يتعلق بما يسمى العواطف أو الوجدان فى كل من المرض والصحة؟ يكفى ما شاع عن الدعوة لترك القلق، والتنكر للعدوان، ووصم "الحزن" (برغم حتميته الرائعة اللازمة لإعلان صعوبة العلاقة بالآخر فى وعى الطرفين، مع الحركة المستمرة) ووصمه "بالاكتئاب" بالمعنى السلبى، ثم الكلام عن ذكاء العواطف بتوجيهها للاستعمال من الظاهر للتواصل الدمث والتشكل، كل هذا ومثله يتجه بنا إلى مزيد من الاختزال أو التجزىء أو التسطيح فيما نحن بصدد محاولة سبر غوره.

إذن: لا مفر من التجريب

ولا مهرب من أن نضع نتائج التجريب – **فى حدود منهجها-** فى إطار التنظير الممكن مرحليا مع الاستعداد للتراجع والمراجعة باستمرار.

خبرة شخصية

حين أعدت قراءة الفرض (يومية16-7-2008) الذى قدمتُه مترددا ليغطى بعض جوانب القضية المطروحة، رحت ، بدون قصد أطبق بعض ما طَرَح من افتراضات نبعت من الاستجابة للألعاب، وخصوصا استجاباتى شخصيا على مرتين **(يومية 24-6-2008)**، ووجدتنى عاجزاً عن تصديقها، رحت أتعجب من نفسى وأنا أتساءل مثلا:

- هل كان ادعائى السابق أننى غير قادر على كره أى أحد بالمعنى الشائع، هل كان هذا الادعاء كذبا على نفسى طول هذا العمر؟
- إذا كان الأمر كذلك، فهل ما أظهرته اللعبة (ربما رغما عنى كما اعترفت د.أميمة رفعت وآخرون) هو مجرد لعب استدُرجنا إليه دون قصد؟

○ وإذا كان الكره طبيعة بشرية كما زعم الفرض، فلماذا لا نرصده فى الأطفال بشكل واضح، يتناسب مع كونهم أقرب إلى الطبيعة البشرية (لم يتشوهوا بعد بقدر كاف)؟

هذا التساؤل كان يخطر لى وأنا ألعب مع أحفادى فى البحر، وليس فقط على شاطئه، خاصة وأن البحر، وليس شاطؤه هو أقرب إلى الطبيعة البشرية، أليس كذلك؟ واستسمحكم أن أؤجل الحديث فى هذه الخبرة إلى نشرة الغد)

○ وأخيرا: هل يمكن بدورنا، لو أن الكره طبيعة بشرية جدا، أن نكره الأطفال؟

وأسئلة أخرى كثيرة جعلتنى أفتح الباب مرحِّبا بكل رأى ونقد بدءا بنفسى

ثم علىّ أن أعترف بأنه قد طال التأجيل لعرض الآراء التى وصلتنى، وأن أقرّ أنى أتمادى فى رفض التعليق والمناقشة حاليا، مع أن كثيرا من الآراء التى وصلتنى مفيدة وحاسمة، لكن يبدو أن المنهج لم يتضح بدرجة كافية لأغلب من شارك بالنقد والرأى، خصوصا لمن لم يمارسه بنفسه المرة تلو الأخرى، كما يبدو أن هذا المنهج، **"الكشف باللعب"** له مستويات مختلفة أشرت إلى أغلبها سابقا لكننى أعيد التنبيه إليها وغيرها للأهمية:

المستوى الأول : الاستجابة الشفاهية المباشرة، دون أدنى معرفة مسبقة بنص الألعاب واحدة واحدة

المستوى الثانى : الاستجابة الكتابية السريعة المباشرة أيضا (باللهجة العامية كل حسب موطنه، شكرا للدكتور جمال التركى) حتى لو تمت قراءة نص الألعاب العشرة قبل الاستجابة الكتابية، لكن الشرط فى هذا المستوى لايزال أن تكون الإجابة سريعة ما أمكن ذلك (بأقل قدر من التفكير الوصىّ)

المستوى الثالث: الإجابة بتمعن ليس فقط فيما سوف نجيب به، وإنما فيما يتعلق بصياغة السؤال بما يشمل الاعتراض على الصياغة نفسها ونقدها، وربما اقتراح بديل لها (ومثل هذه الإجابات غير صالحة للجمع على سائرالإجابات السريعة التلقائية، مهما كان فيها من نقد صحيح ومفيد، فهى تنتمى إلى **منهج آخر، لغرض آخر)**

المستوى الرابع: الإجابة بالفصحى (وقد تناولنا ذلك من قبل من حيث تفضيل العامية، أما مغزى الفرق بين الإجابة بالفصحى والإجابة باللهجة المحلية فله عودة لاحقا)

المستوى الخامس: الإجابة على نفس الألعاب بعد فترة زمنية معينة (وصلت إلى أربع سنوات فى عرض خبرتى الخاصة فى يومية **2008-6-24**)

المستوى السادس: الإجابة المطولة كالمقال، التى تتناول نص اللعبة"، وكأنه عنوان لمقال يمكن تصور محتواه، ثم مناقشته والرد عليه، وتعرية أغراضه، ..إلخ

المستوى السابع: التراجع عن أى من الاستجابات المبدئية التى تمت على أى مستوى معين، لصالح مستوى آخر مما ذكر، أو مما لم يذكر، أو إنكار ما تم خروجه تلقائيا تماما، وكأنه كان خطأ عن غير قصد!، أو خرج بالمصادفة، ثم تعديله، أو الانطلاق منه، أو قبوله وقبول الاعتراض عليه فى نفس الوقت، فيخرج جديدا، أو على الأقل يَعِدُ بجديدٍ ما.

بالله عليكم هل رأيتك أصعب من هذا المنهج؟

نعم، ما أصعب كل ذلك مقارنة بما يمكن أن يمارسه أى منا (كما اعتدتُ أن أفعل أنا أيضا ربما إلا قليلا بفضل مرضاى)

نحن – عادة – نعلن موقفنا أو معرفتنا عن أى ظاهرة كانت إما من (1) واقع ما قرأنا (أو عرفنا من أى مصدر)، أو من (2) واقع ما عايشنا وخبرنا، وخاصة إذا كان ذلك بوعى يقظ متعلم. إن كلا المصدرين : **الاطلاع والخبرة** هما من أهم مصادر معرفتنا ، وقد يتعارضان، وقد يتكاملان، ولا يمكن الاستغناء عن المصدر الأول (الذى يظهر فى الاستشهادات، والمقتطفات، والمراجع عادة)، ولا عن المصدر الثانى الذى تعتمد مصداقيته على درجة نضج صاحبه وعمق خبرته وموضوعية ذاته، وقدرته على التعبير عن معايشاته، ومع ذلك فيبدو أننا نحتاج إضافة جديدة من منهج جديد.

احترام كل المناهج والمستويات

ومع كل احترامنا لكل المناهج والمصادر والخبرات والمعارف، دعونا ننظر فى هذا المنهج الصعب الحالى فى حدود إمكانياتنا وإمكانياته

ومن بين إمكانياته وصعوباته تعدد مستويات قراءته، (نقده) بقدر تعدد مستويات الأداء (السبعة التى ذكرناها وقد تزيد) !!!

أقر وأعترف أن كل المستويات تهمنى دون استثناء، وينبغى أخذها فى الاعتبار إذا أردنا أن نصل إلى ما يزيد الأمر وضوحا وفائدة.

ولكن دعونا نبدأ بمنهجنا التجريبى الحالى، ليس ذلك لأنه الأفضل، لكنه لأنه المنهج التجريبى الحالى!

خذ مثلا يومية اليوم ، والتى يمكن إدراجها تحت **المستوى السابع** إلا قليلا، (مستوى: **التراجع عن أى من الاستجابات المبدئية التى تمت..إلخ .**

الجزء الأول: عن "الكره" و "الكراهية

خبرة شخصية حديثة

كرهٌ آخر

.....كان الوالد يجلس أمامى فى صمت، وابنه يجلس فى الكرسى المقابل، ليس متهيجا بمعنى التهيج

المرضى المزعج أو المنذر، ومعهما عمه يجلس على الأريكة المسنودة للحائط، وهو يتكلم بهدوء يصف حالة ابن أخيه نيابة عن الوالد، والولد يرد بشكل مناسب نسبيا ضد انطباعى الأول حين دخوله، حيث قدّرت أنه فى حالة اضطراب شديد .

فجأة، وبدون أية إشارة أو داع أو تدخل من الوالد، رفع الولد (عمره حوالى 22 سنة) ذراعه اليمنى أعلى ما يستطيع وهوى به فى لمح البصر على صدغ الوالد الأيسر الجالس قبالته، نكس الوالد (56 سنة) رأسه وانسابت دموعه فى صمت، (سوف أحكى ما جرى لى حالا- انتظر لو سمحت). أخرج الوالد بطاقة باسمه (كارت شخصى)، وقدمه لى عبر المكتب، والدموع فى عينيه، دون أن ينطق، قرأت فيه وظيفته المهمة، وعنوانه وهواتفه الكثيرة.

أنا أمارس هذه المهنة منذ نصف قرن وعام، رأيت مرضى فى أبشع حالاتهم، من أول القتلة حتى المضاجعين للمحرمات الصغيرات، والمنتهكين الأطفال والبنات العذارى، مرورا بكل أنواع الإدمان والنصب والانحراف، أكاد أجزم أن شعور الكراهية الذى اعترانى لرؤيتى هذا الحدث، بعد نصف القرن هذا، لم أمر به من قبل

(هل لذلك الوعى الحاد علاقة بفتح ملف الكراهية الآن هكذا؟ لست أدرى!!).

كرهت الشاب كرهاً لا مثيل له!

لم أتحرك، ولم أعلق بكلام محدد فيه زجر أو رفض، واستمر الفحص حتى اطمأننت إلى أن هذا الشاب مريض يحتاج دخول المستشفى – لأسباب إضافية موضوعية- خوفا عليه وعلى ذويه، ولم يشفع له ذلك -عندى فى داخل داخلى- أن يبرر لى ما فعله، وبالتالى لم يغير من الكراهية التى غمرتنى تجاهه (مع أننى أنا الذى قررت مدى شدة مرضه التى ألزمت دخوله المستشفى).

فى صباح اليوم التالى، عُـرض علىّ هذا الشاب فى المستشفى مع كل الزملاء من هيئة المعالجين، ولم أجد مشاعرى قد تغيرت، مع أن الموقف المرضى الذى انتهينا إليه يمكن أن يبرر تصرفه من حيث التقييم التقليدى (غير مسئول ويعفى من العقاب !!) لكن ماذا أفعل فى مشاعرى هذه، وهى ليست المناطة بكتابة تقرير رسمى (طب نفسى شرعى) تحدد مسئوليته، نحن نكتب تقرير الطب النفسى الشرعى من واقع الوقائع والمستندات والتقييم الموضوعى الظاهر، وليس من واقع مشاعرنا وأحوالنا الخاصة. قد اضطر أن أكتب أن هذا الشاب غير مسئول قانونا لو وصل الأمر إلى تشكيل الواقعة بشكل قانونى يتطلب مثل هذه الشهادة، لكن تلك المشاعر التى غمرتنى تعلن أنه "مسئول ونصف"، مهما كتبت فى التقرير (الصعوبات تزداد!!! رأيت كيف؟)

حين غمرتنى كل هذه الكراهية، تذكرت بداية فتحنا هذا

الملف هنا إثر ما أعلنته د. أميمة رفعت عن شعورها بالكراهية نحو مريضتها، ثم تذكرت أول أمس وأنا أرد على د. منير شكر الله تساؤله عن موقف الطب النفسى الشرعى من مريضته التى طاحت فى أهلها سبابا وتعديا ، ثم أقرت له أنها عملت ذلك بقصد وترصد، **(يومية 13-7-2008) "حبيت أعمل لهم كارت إرهاب" ولما سألتها إرهابهم بماذا؟ أجابت بما معناه: عشان يخافوا ويمشوا.**

بعد كل ذلك، ما زالت مشاعر الكراهية تغمرنى كلما عاودنى منظر الشاب وهو يصفع والده، نعم الكراهية بلا زيادة ولا نقصان، كراهية ليس لها أدنى علاقة بمسئوليته القانونية، ولا بما طرحنا من أبعاد ومناقشات أثناء إجراء ألعاب الكراهية.

هل هذه هى الكراهية التى نزعم أنها تغلف الحب، وأنها الخلفية التى تجعل الحب أكثر موضوعية، وأنها ليست إلا الوعى البشرى بغريزة العدوان التى هى -أساسا- برنامج بقائى منغرس فى تركيب البشر بالضرورة؟

طبعا لا

إذن ماذا ؟

الكراهية التى ملأتنى، والتى مازلت أشعر بها حتى هذه اللحظة هى غير كل ذلك،

ماذا هى إذن، مقارنة بحق الكره الذى ظهر فى ألعاب الكراهية؟

وكيف سأعالج هذا الشاب، (وأنا أقبض نقودا مقابل ذلك؟ مقارنة بالدكتورة أميمة والدكتور منير !!) كيف سأعالجه وأنا أحمل له كل هذه المشاعر التى كادت تصل إلى وعيى كأنها القتل ذاته (أنا لم أجد طول عمرى مبررا موضوعيا لقتل أى إنسان أيا كان حتى الآن، حتى فى الحروب اللهم إلا...)؟

راجعت كل خبرتى، أو عادت لى كل خبراتى، حتى ردى على د.أميمة الذى فتحت لنا هذا الملف الصعب هكذا، وحضرتْنى ردود كثيرة مفيدة ، علمية وخبراتية، ، طمأنتنى إلى احتمال نجاحى فى القيام بواجبى برغم كل ما اعترانى هكذا، وحتى الآن. ومع ذلك ما زلت على يقين مما يلى :

1. **إن الكراهية التى غمرتنى هكذا،** هى ليست الكراهية التى تجلّت وتتجلى لنا من خلال منهج الألعاب الذى نحاول أن نكشف من خلاله أبعادنا الأخرى.

2. **إن الكراهية التى غمرتنى هكذا،** هى منفصلة تماما عن كلية وجودى المسئول معالجا وإنسانا، مهما كانت مبرراتها من التعاطف مع الوالد المصفوع

3. **إن الكراهية التى غمرتنى هكذا،** هى الخطوة الأولى، وليست الأخيرة فى سلسلة من العواطف والقرارات التى قد تساعدنى على القيام بواجبى

4. **إن الكراهية التى غمرتنى هكذا،** لو لم تلحقها تلك "الكلية" التى أشرت إليها فى بند "3" **هى القتل الإبادة العدم،** (مرة أخرى، وهى غير الكراهية التى تكشفها معظم الألعاب)

5. **إن الكراهية التى غمرتنى هكذا،** هى كراهية **انعكاسية** ردا على موقف معين، فهى منفصلة عن الوعى البشرى الكلى الخاص بوجودى، مهما كانت تبدو أخلاقية مُبَرَّرة بعقوق ابن لا يعفيه جنونه من مسئوليته الأعمق.

وأنا أكتب الآن، جاءتنى بعض آليات ترويض هذه الكراهية البشعة، لتصبح – ربما – أقرب إلى الكره الذى يكشفه منهج الألعاب (وليس إلى الكراهية التى وصفتُها حالا) ، ومن ذلك :

أولا: إن هذا الشاب قد كره والده بنفس نوع هذه الكراهية، ولا بد أن أُشهر فى وجهه نفس السلاح كخطوة أولى (مثلما نبرر تبرير الحروب –والقتل– بأنها ليست إلا دفاعا عن النفس)

ثانيا: يبدو أننى لم أكره الشاب بقدر ما كرهت الصفعة، ومع ذلك فلا أنكر أننى، وإلى أن شاهدته فى المرور صباح اليوم التالى مع الزملاء ، وإلى درجة أقل قليلا، وإلى الآن، لم أميز بين الشاب وبين الصفعة، وأنا أحاول أن أواصل محاولة عدم التمييز بين الجزء والكل، حتى لا أستسلم للمقولة التى نقدتُها فيما سبق، والتى تقول : **"أحب الناس واكره طبعهم"،** باعتبار أنها ومثلها هى بداية التجزىء الذى أرفضه إلا مرحليا.

ثالثا: إن الكراهية عن بعد، يمكن أن تستمر باعتبار أن المكروه (أو بقية "كلّ" المكروه) لم يعد فى **متناول وعى الكاره،** فلو أن هذا الشاب لم يدخل المستشفى، ولم أُصْبح مسئولا عن علاجه، فلربما استمر شعورى هذا كما هو مدى الحياة، (وهو نفس شعورى نحو بوش وشارون، والحمد لله أنه لا فرصة للاقتراب منهما أو علاج أيهما، فهما لا يستحقان أن يحصلا على صك المرض أصلاً مهما وُصِفوا بذلك، ولهذا تفصيل آخر)

رابعا: إننى لو نجحت أن تكون هذه الكراهية هى مجرد بداية (وهذا ما أتبينه فى هذه اللحظة وأنا أكتب، وليس قبل ذلك)، فقد أقتربُ بشكل أو بآخر، مهما بلغ حجم الجهد المبذول، من الكره الذى يكشفه منهج الألعاب، ومن ثم تبدأ مسئولية العلاقة الأخرى، ومن ثَمَّ العلاج...إلخ

من هذه الخبرة بهذا التدرج أمكننى أن أطور هذه الجزئية من فرض الكراهية، بأن أميز – حتى تعسفا– بين الكره والكراهية (كما ميّزوا بين العدوان والعدوانية، مما سأرجع إليه فى حينه) أميز بينهما دون خشية نقد من موقف ساكن، فأنا مضطر كما هو واضح ، فثم عاطفتين تكادان تقعان على طرفى نقيض، وفى نفس الوقت نزعم أنهما واحد ، ونطلق عليهما نفس اللفظ.

هأنذا أجرؤ وأميز، وعلى التظلم أن يجد لنا حلا بديلا :

الكراهية: هى شعور انعكاسى عدوانى بدائى قاتل، يدفع المكروه بعيدا، ويهدف إلى إزالة وجوده، أى التخلص منه كله، بوعى انتقامى أولى (وعى الكر والفر) منفصل عن الوعى البشرى الكلى النامى.

أما الكره : فيبدو أنه ينطلق ابتداء من نفس الشعور الذى أسميناه حالا **"الكراهية"**، ثم يستمر لمدة قصيرة (حسب النضج من ناحية وشدة المثير من ناحية أخرى)، مدة تتراوح بين ثوان وأيام (مثل حالتى الآن) وربما أكثر، ثم لا يلبث أن تحتويه مستويات أخرى من المشاعر، (وليس بالضرورة من الأفكار والقمع والضبط والربط، وإن كان كل ذلك من العوامل المساعدة، اللهم إلا الإنكار التام Denial ومن البداية)

ثم نحن لا نتخلص من هذا الكره المبدئى البدائى (الكراهية) مهما بلغت خطورته أو بشاعته، وإنما تتغير طبيعته حين يصبح جزءا من كل غامض، قد نعجز أن نسميه حبا، وقد نسميه حبا استسهالا، وقد يكون غيرهذا وذاك، فيظل هذا الشعور يحمل هذا الاسم السيء السمعة (الكره) ، حتى لا يضيع وسط التبرير، والاستقطاب وادعاء عكسه.

هذا عن الكره والكراهية

فهل هناك ما يقابله بالنسبة للحب

نعرض بقية الخبرة الشخصية غدا وهى عن:

كيف اكتشفت تنويعات أخرى أكثر أصالة : تسمى أيضا الحب!!

ملاحظة واعتراف بفضل النقد

حين حكيت عن ماحدث لى من جرّاء صفعة الشاب لأبيه، علقت صديقة حكيت لها مشاعرى ورفضى لها، علقت على موقف الأب بأنه موقف مرفوض بالنسبة لها، الأمر الذى لم يخطر على بالى ساعتها، ربما بسبب تعاطفى الشديد مع كسرة الأب وإهانته أمامى هكذا،

لكننى احترمت تعليقها، وانتبهت إلى موقفى الأساسى من تحميل الضحية جزءا من المشاركة – بشكل ما فى الجريمة –

"تبقى جريمة عاملها اتنين،

كل جريمة عاملها اتنين،

ذنب المقتول ذنب القاتل،

أصله استسلم"،

ألست أنا قائل هذا الكلام منذ 1974 **فى ديوانى "أغوار النفس"**

ثم إنى سبق أن أشرت مرارا إلى إسهامات علم الضحايا victimology فى فهم العلاقة المتكاملة بين الجانى والمجنى عليه؟

أكتشف الآن أن فى هذا التنبيه من هذه الصديقة بعض ما أعانى على حمل مسئولية هذا المريض ووالده برغم كل تلك المشاعر السالفة الذكر

متى تُعلَنُ المراجعة، ومتى نراجع التراجع؟

لست متأكدا ما هو الوقت الأنسب:

أن أنشر مراجعاتى، وتراجعاتى أولا بأول؟

أم أن أنتظر حتى ننتهى من نشر الاستجابات للألعاب، وفحصها؟

أو حتى أن ننتظر لما بعد المناقشات؟

ما رأيكم؟

مبدئيا أذكّر الأصدقاء أننى فى **يومية 16-7-2008** كنت قد استبعدت الأسوياء كمصدر أساسى لفحص هذه الفروض، ثم هأنذا اكتشف الآن أنه خطأ جسيم

خذ مثلا مراجعة هذا الزعم حين ندعى أن الأسوياء ليسوا عينة مناسبة لفحص هذه المسألة هكذا:

- أليس كل أو أغلب الذين شاركوا فى الألعاب هم من الأسوياء؟
- أليست هذه الخبرة الشخصية التى كتبت عنها حالا (وسوف أكملها غدا) هى خبرة أحد الأسوياء فى الغالب: (طبيبا اليوم، وجدّا غدا؟)

وغداً نكمل:

الملحق:

ألعاب جديدة عن الكراهية مستوحاة من لعبة: **"يمكن لما اعرف أكرهك...."**

التى جرت أساسا فى العلاج الجمعى **يومية 10-6-2008**

1) **أنا لو سبت نفسى تكره على راحتها يمكن .....**
2) **الكره طبيعة بشرية إنما أنا بقى.....**
3) **أنا خايف أفتش فى منطقة الكره دى أحسن ألاقى نفسى.....**
4) **لا .. لا ... ! الطيب أحسن، كره إيه وبتاع إيه،.. دانا.....**
5) **أنا لو أحب حد بصحيح يمكن أسمح لنفسى أكره على شرط.....**

6) هيّه تلصيمة ولاّ إيه؟! باحب آه، لكن بصراحة أقدر برضه أكره لدرجة انى.....

7) أنا أحسن لى أصدّق إنى ما باكرهشى حد .. ما هو أصلى يعنى .....

8) وإيه يعنى لمّا أكره، ما أنا برضه.....

9) أنا مش قد الكره إللى جوّايا، وعشان كده .....

10) ياترى أنا مش عارف أكره، ولا خايف أكره؟ الظاهر إنى.....

وغدا نعيد نشر العشرين لعبة الخاصة بالحب مرة ثانية، حيث نشرة الغد المكملة هى "عن الحب وتشكيلاته وتجلياته"، خبرة شخصية أيضا كما ذكرنا.

- جان بول سارتر (1960) "نظرية فى الانفعالات". (ترجمة: سامى محمود على – عبد السلام القفاش). القاهرة: دار المعارف بمصر.

الإربعـــــاء 23-07-2008

327- ملـــــف الحـــــب والكـــــره (2من 2)

خبرة شخصية حديثة

وعدت فى يومية أمس أن أعرض بقية الخبرة الشخصية التى مررت بها مؤخرا وأنا منشغل بملف الحب والكره، وكانت نشرة أمس عن مشاعر الكره التى غمرتنى، والتى أدت إلى أن أغامر بالتمييز بين الكره والكراهية وأنهيت النشر بتساؤل يقول:

إذا كان هذا عن "الكره" والكراهية، فهل هناك ما يقابله بالنسبة للحب؟ ووعدت بأن أحكى مراجعاتى (أو تراجعى) من واقع خبرتى الحالية بعيدا عن الألعاب والتنظير جميعا.

خبرتى هذه تبدأ ببداية تكوين علاقة مع صغرى حفيداتى "نور" (عامين) – وأنا لى تسعة أحفاد وحفيدات (من ولدين وبنتين).

منذ عثرت على تعريف للحب (قبل ثلاثين عاماً) وأنه "الرعاية والمسئولية"، ثم أضفت إليه بعد ذلك "الرؤية" (الشوفان)، و"تحمل الاختلاف"، وأنا فرحٌ بهذا التعريف أتباهى به، وأرفض ما هو دونه، وكنت أشعر أننى بذلك ألقن الناس دروسا فى نوع ناضج موضوعى من الحب، لكن – للأمانة – رحت أتراجع رويدا رويدا، **حين اكتشفت أننى بذلك أكاد أحرم المحبين من العمى اللذيذ، والكيمياء الخفية، والطزاجة الغامضة، واللذائذ المسروقة، ومع ذلك لم أتراجع ولكننى أيضا لم أتمادى.**

ثم إنى بعد أن فتحت ملف الحب والكراهية فى هذه النشرات، وراجعت ما جاء فى النشرة الخاصة **بالتواصل بين البشر يومية 26-9-2007**، ثم قفذت إلينا ألعاب "سر اللعبة" عن الحب والكراهية، انسحبت إلى واقع جديد أقيس به ما وصلنى وما أدعّى، وما أروّج له، وكان المجال الأساسى فى هذه الخبرة الشخصية هو فرصة لعبى مع أحفادى وحوارى مع بعضهم خلال الأسابيع القليلة الماضية، بدأت فى التساؤل -أمس- إذا كان الكره طبيعة بشرية كما زعم الفرض فلماذا لا نرصده فى الأطفال بشكل واضح يناسب أنهم أقرب إلى الطبيعة البشرية؟

امتد هذا التساؤل إلى إعادة النظر فى التعريف السابق للحب، فرحت أتساءل: "إذا كان الحب رعاية ومسئولية...إلخ" فكيف ينطبق ذلك على الأطفال، وهل يمكن لطفل عمره سنتان أن يرعَى ويكون "مسئولا؟" يرعى من؟ ويكون مسئولا كيف؟

وإليكم مقدمة بعض ما كان

... نور مصطفى يحيى الرخاوى طفلة شديدة الذكاء اللامع، والنشاط الجميل، والتلقائية المفاجئة، وهى صديقة حميمة لجدتها، تناديها كما سمعت أولادى وبناتى يناديننها بـ **"أُمِّى"** (وتنطقها **"مِى"**) وقد نجحت جدتها أن تعلمها أخيرا أننى **"جدّى"** (تنطقها **"دِدِّى"**)،

كيف بالله عليكم أنكر على نور أنها تحب جدتها كما أشاهدهما معا، أحيانا وأنا مشغول عن البحث والتنظير، وأحيانا وأنا أناقش أفكارى من واقع الحال حولى ومعى؟

المهم، أتاح لى الصيف والمصيف أن أتأكد أن نور قد بدأت فى عمل علاقة بى ومعى، ليست علاقة بجرارة وحميمية علاقتها بجدتها، لكننى رحت أرصد العلاقة وهى تتكون معى مباشرة. وتصورت أننى هكذا استطيع أن أحكم وأراجع، بشكل أفضل،

فى أول الأمر رددت على تساؤلى الأول: هل نور تستطيع أن "ترعى" وأن تكون "مسئولة"، وكانت جدتها تحكى لى كيف أنها تمسك بيدها بمجرد أن تهم بالقيام، وتصحبها إلى حيث تريد، كما شاهدتْ أعمامها وعماتها وشخصى أحيانا نفعل ذلك، وكانت جدتها تفرح بذلك وتسير بجوارها وكأنها تعتمد عليها، أو لعلها فعلا تعتمد عليها، وحين رأيت المنظر بعد أن حكوا لى عنه لم أصدق، لا جدال أنها تحب جدتها، التى تبادلها نفس المشاعر كما يتجلى للجميع، لكننى شعرت فعلا أنها مسئولة حقيقة عن جدتها، وأنها يمكن أن يكون فى تصرفها هذا رؤية كافية كما لاحظت أنها حين ترى جدتها وهى تستعد للصلاة تسرع بإحضار "الغطفة" لها دون أن تطلب جدتها، لست متأكدا إن كنت أغار من هذه العلاقة أم لا، لكننى متأكد أننى كنت أفرح بهما جدا، وأشعر أن رسالة إيجابية تصلنى عن حقيقة العلاقة التى بينهما، وبصراحة كنت آمل فى مثلها، أو فى شىء قريب منها.

ثم بدأت علاقتى بنور تتكون مباشرة بينى وبينها بما يسمح لى أن أختبر بعض ما جاء فى فروضى السابقة،

وإليكم بعض ما جرى.

****

... دق هاتفى المحمول بعد عودتى إلى القاهرة، وإذا بريهام (أم نور وزوجة ابنى) تقول لى: "نور عايزة تكلمك"، تعجبت ولم أتساءل كيف طلبتْ ذلك وحصيلة أبجديتها لا تسمح بذلك، ثم كيف عرفت أمها رغبتها تلك؟ لكن خبرتى السابقة من حكاوى جدتها أفهمتنى أنها تذهب ناحية التليفون، وتذكر اسم

من تتذكره وتريده، وتشير إلى التليفون، يبدو أن هذا ما حدث مع أمها التى استنتجت رغبتها فى مهاتفتى، فطلبتنى،

فرحت بصراحة فرحة مختلفة. جميلة ورائعة (الفرحة!)، ها هى نور تتذكرنى وتذكرنى وتسعى وهى تشير إلى التليفون وتنطق باسمى، كلمتُها فرحا ولم أفهم شيئا أو لم اسمع إلا **"دِدّى"**، **"بَحْ"** (تقصد "بحر")، فعرفت أنها تذكر لعى معها فى البحر. وانتهت المكالمة بندائى اسمها، وأن "حاضر" وبضع مقاطع متناثرة، وخلاص.

حين وصلت إلى المصيف (بعيدا عن مصيفها بعض الشىء) طلبت أمها على هاتفها لأخبرهم بوصولى (وأنى أنتظر الأولاد على الشاطىء) فإذا بريهام بدلا من أن ترد مباشرة، وقد عرفت أن الطالب هو أنا من رقم الهاتف، إذا بها تناول نور الهاتف وهى تقول: "كلَمْ نور الأول". بعد أن تبادلنا نور وأنا كلمات غامضة انقلبت إلى همهمات لصعوبة سمعى وصعوبة نطقها، أخذتْ أمها التليفون منها، فسألتها لماذا طلبتْ منى أن أكلَم نور أولا، فقالت: لأنها أول ما سمعت الهاتف جرت نحوه وهى تقول قبل أن ترد **"دِدّى، دِدّى..."**؟؟، قلت لريهام: إيش عرفها أنه أنا الذى على الهاتف؟ وأنا نادرا ما أطلبكم؟ قالت لست أدرى لكن هذا ما حدث، فسألتها وهل جرت قبل ذلك على رنين سابق وهى تكرر نفس النداء، **"دِدّى"** فأكدت أمها أن هذا لم يحدث.

لا أريد أن أعلق الآن.. ولا حتى أن أكمل، لكننى عدت أتساءل:

ما هذا؟

ماذا اسمى كل ذلك؟

أهذا هو الحب الذى أعنيه وأكتب عنه؟

وإذا كنت قد رصدت ولو تجاوزا رعاية نور لجدتها ومسئوليتها عنها. فأين ذلك من هذه العلاقة التى تتكون هكذا معى، وكيف عرفتْ أننى أنا الذى على الهاتف؟

لنور أخوان: حسن (8 سنوات)، وكريم (4 سنوات) وأنا أزعم – لنفسى على الأقل- أننى أحبهم حبا جما، لكن ما معنى "أحبهم حبا جما" بعد أن فتحنا ملف "الحب والكره"؟، العجيب أننى وأنا أتأمل نفسى وأراجع تجليات الحب وأنواعه، اكتشفت أن ثَمَّ اختلاف اختلاف نوعيا لحبى لكل واحد من الثلاثة على حدة، المبدأ موجود، واسمه التقريبى "الحب"، لكن، المشاعر جد مختلفة،

حبى **لحسن** منذ ولادته حتى الآن أشبه بالمشى فى حديقة مفتوحة، وردها أغلبه أبيض وحشائشها شديدة الخضرة، والطزاجة تتلألأ فى الشمس وفى ضوء القمر الفضى على حد سواء.

حبى **لكريم**، يحيطنى برائحة وطقطقه أبو فروة على صاج ساخن حوله ناس طيبون فى ليلة باردة،

حبى **لـنور** أشبه برائحة السماء وأنا خارج من البحر وأمواجه تداعبنى.

أنا متأكد أن هذه المشاعر مختلفة عن بعضها البعض، وأنها ليس لها أية علاقة بالرعاية والمسئولية كما يزعم تعريف الحب الذى فرحت به هرا.

ما الحكاية ؟

كيف نسمى مشاعر بكل هذا الاختلاف بنفس الاسم؟

خطر لى أن السبيل الأمثل لتناول هذه العاطفة المسماة الحب، هو ألا نتناولها أو نسميها

****

مضطر أنا للتوقف لطارئ مفاجئ وأن أؤجل تفاصيل أكثر عن هذه الخبرة الشخصية

وقبل أن أنهى هذه المقدمة أكتفى بأن أؤكد أن كل هذه الخبرات لم تستطع أن تستجلب بجوارها أية كراهية، أو أى رائحة لما هو "كره" .

إذن ماذا؟

هل مشاعرنا نحو الأطفال هى عواطف من نوع خاص وكذلك مشاعرهم؟

هل يصح أن نسميها بنفس الاسم الذى نسمى به مشاعرنا نحو بعضنا كبار وكبيرات؟

وأين الكره من كل هذا؟ (مرة أخرى)؟

وأى منطقة تلعب فيها الألعاب الخاصة بالكره والكراهية؟

****

فجأة : حدث طارئ أوقفنى أن أكمل.

هل استسمحكم وتنتظرونى للأسبوع القادم؟

الخميـــــــس 24-07- 2008

328- أحـــــلام فتـــــرة النقاهـــــة "نـــص علـــى نـــص"

نص اللحن الأساسى (حلم 75)

أمى ترحب بجارة عزيزة وكريمتها الحسناء فى حجرة المعيشة بالدور الثالث فى بيتنا القديم، ودعيت للجلوس معهن ثقة فى الألفة بين الأسرتين.

وفى أثناء الحوار استرقت إلى الفتاة نظرة واسترقت إلىّ نظرة دون أن يغيب هذا عن أم الفتاة، فلما ذهبت فى الابتعاد عن الغرفة همست لنا الجارة أن انزلا إذا شئتما إلى الدور التحتانى الآن كعادة من أهل البيت، وتلقيت الدعوة بذهول وبفرح شامل. وما أن دخلنا الدور التحتانى حتى جذبتها إلى صدرى، ولكنى لم أخط الخطوة التالية لسماع ضجة غريبة. واقتحم المكان نساء ورجال وشباب، وتفرقوا فى الحجرات، ثم جاء رجل من رجال الأمن ووقف عند الباب زاعما الحفاظ على القانون، وكدت أفقد عقلى من الذهول وضاعف من ذهولى أنى رأيتهم يغنون فى حجرة، كما رأيتهم يرقصون فى حجرة أخرى، ونظرت إلى فتاتى مستغيثا بها فوجدتها هادئة باسمة.. وعند ذلك قررت الهرب، غير أنى رأيت رجل الأمن عند الباب فتسمرت فى وضعى فريسة للذهول وخيبة الأمل.

التقاسيم

... لكن أحسن، لا هى تصلح لى، ولا هو يصلح رجل أمن، ولا بيتنا يصلح لأىّ من هذا، ولم أفكر فى دور أمى فى كل هذا، وكأن الجميع قد اتفقوا على أمر ما، لم أحاول أنا أن أفكر فيه، كنت مغيظا. كيف استباحوا بيتنا ليقلبوه كباريها وقسم شرطة معا؟

.... أجد نفسى فى الميدان والساعة العامود ليس فيها إلا عقرب الثوانى يدور بسرعة خيل إلى أنها أسرع من مرور الثوانى، وحين دققت النظر وجدت نصف ذراع العقرب الآخر ولم أعرف إن كان عقرب الساعات أم الدقائق، فقررت أن انتظر حوالى خمس دقائق لأرى إن كان يتحرك أم لا، لكننى لم أصبر، وسألت أحد المارة عن الساعة فقال لى إننا هنا لا نعمل

بالساعة وإنما بالإنتاج، وحين قلت له من أنت؟ اختفى وأمتلأ الميدان كله بأطفال بنين وبنات يلبسون مرايل مخططة أبيض أسود أحمر مثل علم مصر، فانقبض قلبى للمرايل وانفتح للأطفال واقتربت من أحدهم وسألته عن اسمه فقال لى أن اسمه محمد، وحين سألته محمد ماذا وضع سبابته منتصبا أمام شفتيه وهو يحذرنى أنه ممنوع أن يكون لأى طفل غير اسمه الأول، وأن من لا ينسى اسمه الكامل بعد عام من دخول الميدان يطرد فورا إلى أى حارة مجهولة ويختفى، لا نعرف أين؟.

فجأة أخذ الأطفال يجرون نحو شبح ظهر فى نهاية الميدان تبين أنه المرشدة التى لها وجه فتاتى – وقد جاءت تنادى الأطفال أن يصعدوا الحافلة التى أقلتهم، لاحظت أنها تلبس لباس الممرضات لكنها لم تحكم غلق الأزرار فظهرت أجزاء من بدلة الرقص تحتها، هممت أن أناديها لكن صوت أمى جاءنى من بعيد يودع جارتنا على السلالم، وسمعت صوت قبلات يتبادلانها، فاستأذنت ونزلت إلى الدور التحتانى لأجد فتاتى تنتظرنى مرحبة وكأن شيئا لم يكن، وقالت أنها موافقة، وأنها نجحت أن تحصل على الورقة الصفراء من السلطات،

نظرت إليها طويلا لأتأكد أنى لا أريدها، واستدرت وانصرفت مسرعا وكأنى أعدو

هى تنادى، وأنا لا أرد.

* * *

نص اللحن الأساسى (حلم 76)

هذه شجرة مورقة يجلس تحتها صديق الشباب وشهيد الوطنية.. وعلى الرغم من مرور عشرات السنين على رحيله فإنه بدا أنيقا فى صحة وعافية. فأنشرح صدرى لمرآه وهرعت إليه ولكنه أوقفنى بإشارة من عصا بيده، ذكرته بعهد الصداقة فلم يعبأ بكلامى وقال إنه لم يعد يستطيع صبرا مع تل القمامة.

قال ذلك وألقى عصاه ثم ذهب، التقطت العصا وأنا حزين ولكنها بعثت فىّ روحا جديدة، فانطلقت من فورى إلى تل القمامة وانهلت ضربا على أطرافه وكل ضربة أحدثت شقا ومن كل شق يخرج رجال ونساء ليسوا على شاكلة جامعى القمامة ولكنهم آية فى النظافة والوجاهة والفخامة. وكلما لمح أحدهم العصا بيدى فر يركبه الفزع، عند ذلك رسخ يقين بأن الشمس ستشرق غدا على أرض خضراء وجو نقى.

التقاسيم

.. وقبل أن أستغرق فى انسحابى الحالم آملاً، لاحظت أن كوم القمامة كان يتضخم مع كل ضربة يخرج منها الوجهاء من بين شقوقه، وقد تملكهم الفزع، لا أعرف ما الذى أوحى إلىّ أن تحت كوم القمامة هذا كنز ثمين، وربما خاتم سليمان الذى يتيح لمن يجده فرص انتقاء أى الأمانى تتحقق أولا. واصلت عملى وكأنى أوفى بوعدٍ ما لصديقى الراحل شهيد الوطنية.

استحليت اللعبة لكننى لاحظت أن مع كل ضربة جديدة تتراجع نظافة ووجاهة وفخامة الرجال والنساء البازغين من الكوم، وتتغير أشكالهم حتى صار الذين يخرجون من الشقوق أقزاما، مهرجون، ثم خرجت بعدهم قردة تلبس فساتين وقبعات فاقعة الألوان.

جاءت عربة القمامة العملاقة، وجمعتْ من تبقى من الرجال والنساء والأقزام والقردة والقمامة فى كومة واحدة، ورفعتهم آلتها الضخمة إلى صندوقها، فرعبت لأننى كنت قد سمعت عن مصير حمولة هذه العربات، وكيف سيحولونها إلى طاقة حيوية يستعملونها فى حفر مزيد من قبور الشهداء، وآبار البترول.

تزايد الرعب حتى كاد الشلل يعجزنى، فأسرعت الخطى مبتعدا، أشرت إلى عربة سوداء قادمة، تبينت أنه قد كتب عليها " تكريم الإنسان"، فركبتها دون تردد، وإذا بها تتجه إلى حديقة الأورمان بدلا من مقابر الإمام الشافعى.

لكننى عدت أتساءل من جديد:

وأنا إيش ضمّنى؟

الجمعـــــــة 25-07-2008

329- حـــــــــوار/بريـــــــــد الجمعـــــــة

مقدمة:

عجيب أمر هذا البريد، مثلما هو عجيب أمر هذه النشرة.

فى كل أسبوع (بدءًا من يوم الثلاثاء) أتصور أننى لن أجد ما أرد عليه، خاصة وأنا أشك فى تلقائية ذلك البريد الذى يصلنى من أبنائى وبناتى العاملين معى، برغم أننى أعتبر ذلك جزءًا من التدريب.

المهم، ما إن أجلس يوم الأربعاء أو الخميس لأبدأ الرد حتى أجدنى محاطا بكوم من التساؤلات والتعقيبات لا أتصور أننى سوف أتمكن من الرد عليها جميعا. مازلت أفتقر إلى تعقيبات من زملاء، أو أصدقاء غير مختصين بعيدا عن دائرتى (بكل المعانى!)، ومن فريق آخر هم أبنائى وبناتى الذين بدأوا معنا مسيرة الرؤية والمحاولة والتدريب، ثم تركونا ليكملوا المسيرة أو يتراجعوا عنها سواء فى البلاد العربية، أو الأوروبية وأمريكا، واستراليا، كنت أحسب حين بدأت هذه النشرات اليومية أن الأمر – بمشاركتهم- سوف يكون أكثر إثراءً.

هذه النشرة هى رقم 329 ولم يصلنى ما يشفى غليلى ممن توقعت أن يشاركونى، فَنُراجع، ونَتَذَاكر اللهم إلا بضع تعقيبات تعد على أصابع اليدين، باستثناء الابن المثابر د. أسامة عرفة، وبرغم ذلك رأينا، أنا، والابن الصديق د.جمال التركى، أن هذا العزوف لا ينبغى أن يثنينا عن الاستمرار، وأن الذى يهم هو الذى يبقى، إلا أنه يبدو أن جمال قد أشفق علىّ فنصحنى بالتوقف ولو بعد عام (بقى 38 يوميا) وأن أتفرغ لكتابة خبرة متكاملة فى الطب النفسى أساسا من واقع ممارسة نصف قرن، قد يكون لها معالم متميزة لثقافتنا تسهم فى إعادة النظر فى ماهية الإنسان والطب النفسى عامة، ثم عاد جمال فجدد دعوته فى كلمة هادئة هذا الأسبوع.

عذرت جمال وقد واكبت انشغاله وهمه وشرف محاولته للتوفيق بين زملاء اختلفوا على ما لا أعرف، ثم اتفقوا على الاختلاف السرى المستمر، برغم ظاهر الاتفاق التنازلى المهزوز، ولا

أريد أن أضيف "والـلى فى القـلب فى القـلب"، واكبـتُ الابـن والصديق والزميل جمال فى هذه الأزمة، وشكرت له ما يقوم به، ودعوت له بما أستطيع، واعتذرت متألما عن عدم وقوفى بجواره بشكل عملى مباشر، فقد نسيت هذه اللغة فى مرحلتى هذه، حتى عاد جمال منهكا، ويبدو أنه أسقط علىّ إنهاكه، فعاد يثنينى عن الاستمرار، أو ربما خاف علىّ من عناد المؤاصلة بالقصور الذاتى، وأنا معه أشاركه خوفه، ولا أستجيب له، لى .

المهم

فجأة، أمس، تفضل ابن كريم سبق أن قدمته فى أول مشاركة له فى **بريد الجمعة بتاريخ 2007/10/19، هو د. رفيق حاتم**، وقد فرحت به آنذاك ورحبت، وأفردت له وحده كل بريد تلك النشرة، فمن ناحية هو يمثل لى امتداد واعيا يضيف إلى وجودى مهما طال الصمت، أو بعدت الشقة ومن ناحية أخرى كان الموضوع الذى تناوله وعقب عليه فى غاية الحساسية والأهمية معا وهو موضوع **"الصوفية والفطرة والتركيب البشرى" (نشرة 2007/10/1)**، وقد كتب لى بعد ذلك تعليقا من سطرين يشكرنى فيه على أنى أتحت له كل هذه المساحة (وكأن المساحة ملكى أتيحها لمن أشاء)، المهم تصورت أنه سيواصل الحوار بعد ذلك بأى شكل وأى درجة لكنه صمت -دون انقطاع غالبا- وقلت خيرا.

فجأة وصلنى تعقيبه الثانى أمس. قلت خيرا مرة أخرى: "طولة العمر تبلغ الأمل"، قرأت التعقيب وتعجبتُ،

قلتم لى لماذا؟

سوف تعرفون بعد قليل

قبل أن أرد على هذه الـ "لماذا" اتصلت بابنتى الدكتورة ماجدة صالح (مديرة المستشفى) وبعد أن تبادلنا تحديات الذاكرة، وانتصرتُ، أعنى انتصرتُ، طلبت منها أن تجمع لى ما تيسر من أسماء الذين سافروا إلى بلاد الفرنجة والبلاد العربية من الذين تدربوا فى هذه المؤسسة أو المستشفى أو المدرسة (لكلٌ الحق فى تسميتها كما يشاء) فأرسلت لى هذه القائمة.

أولاً : بلاد الفرنجة :

د. يسرية أمين	انجلترا
د. إبراهيم رخا	انجلترا
د. باسم فؤاد	انجلترا
د. أحمد الفار	انجلترا
د. عنان المصرى	انجلترا
د. هناء سليمان	انجلترا
د. عادل صبيح	انجلترا
د. رفيق حاتم	فرنسا
د. نادر جميل عطا الله	فرنسا

د. عصام اللباد	أمريكا
د. وجيه وليم أسحق	أمريكا
د. حسام حشمت	أمريكا
د. مريام سلامة	أمريكا
د. أشرف عزمى	أستراليا
أرتين أوهانسى	أستراليا
د. جمال سلامة	كندا

ثانياً البلاد العربية:

د. صفوت	الإمارات
د. هشام شفيق	الكويت
د. منار منير	الكويت
د. خالد جعفر	الكويت
د. إيهاب شفيق	الكويت
د. أسامة عرفة	السعودية
د. نهال محمد محمود	السعودية
د. أحمد سلطان	السعودية
د. عزة المصرى	السعودية
د. هانى يحيى	السعودية
د. سمير عباس	السعودية

طبعا، هذه ليست كل الأسماء، والعتب على الذاكرة، فعذرا.

باستثناء د. أسامة عرفة كما نوهت سابقا، دعونى أذكر أنه من بين كل هؤلاء – من الذاكرة أيضا – كان الذى تفضل وكتب لى تعقيبا (أو ترحيبا) هم (الأبناء والبنات والزملاء والزميلات) جمال سلامة، عصام اللباد، إبراهيم رخا، خالد العلى، أحمد الفار، وفيما عدا د. عصام اللباد الذى أجّلنا الرد على أغلب ما كتب حتى نعود لمناقشة التعقيبات النظرية عن الحب والكراهية، كان حجم ما كتب أى من هؤلاء الأعزاء هو بضعة أسطر، نصفها ترحيب، والنصف الآخر يدعونى للمواصلة، وأحيانا يفزع من احتمال التوقف (د. أحمد الفار مثلا من انجلترا).

قلت لنفسى إن السنة قد أوشكت على الاكتمال (باقى 38 يوميا).

واقتراح الصديق جمال التركى يخايلنى (الأرجح أننى – حتى الآن – لن آخذ به لأسباب سأعود إليها فيما بعد)، مرة أخرى نكرر كلمة أبو قراط تتصدر الموقع:

الحياة قصيرة، والفن طويل.. الخ..

وفى الوقت المناسب يصلنى هذا التعقيب الجديد من د. رفيق حاتم فيتجدد الأمل، ويتجدد الألم خاصة وأن الخلاف جاء أكبر مما اعتدت.

دعونا نبدأ الحوار وسوف نرى.

(ملحوظة: سوف يقتصر حوار اليوم على يومية واحدة أرى أنها تستأهل ذلك وأكثر، وسوف نواصل الرد الأسبوع القادم على التعقيبات على سائر النشرات الأخرى:

***

زخم الطاقة والإيقاع الحيوى واختيار الجنون (2-2)

د. يحيى:

أهلا يا رفيق! دعنى أبدأ بآخر سطر فى تعقيبك حتى أبلغك شكرى وترحيبى كنوع من الترضية المناورة، ربما تتحمل ما يلى بعد ذلك.

د. رفيق:

"... وياليت يا دكتور يحيى تزيد فى هذا الموضوع المهم".

د. يحيى:

حاضر يا رفيق سوف أزيد وأعيد، مع أننى أذكر أننا تكلمنا، بل مارسنا، هذا الفرض سويا أياما وليالى، أعنى شهورا وسنين، ربما جاءت من هنا دهشتى مما بدأت به حين قلت فى البداية:

د. رفيق:

سوف أبدأ بالقول بأننى أوافق على المبادئ التى تطرحها، ولا أوافق عليها.

د. يحيى:

هذه البداية طمأنتنى، أنك ما زلت أنت، فأنا أعرف قدرتك على أن توافق وفى نفس الوقت لا توافق، وأظن أنك تجاوزت – أو على الأقل أذكر أنك كنت قد تجاوزت – مسألة أن يكون ذلك هو مجرد موافقة على أجزاء، وعدم موافقة على أجزاء أخرى، ما أعرفه عنك أنك تستطيع أن توافق ولا توافق على نفس الجزئية، دون حيرة مُشِلّة، وهذا هو ما يتفجر منه الإبداع.

إلى هنا فبداية تعقيبك واعدة، كما أن النهاية-كما أشرنا – فيها دعوة طيبة أما ما أزعجنى فهو ما بينهما مثل قولك.

د. رفيق:

الجنون ليس قرارا، الجنون ليس اختيارا، الجنون ليس فعلاً.

د. يحيى:

ألم تقل حالاً يا جدع أنت أنك توافق ولا توافق، آسف نسيت، كنت تتكلم عن المبادئ، أرجو أن تحدد مناطق وطبيعة عدم موافقتك.

د. رفيق:

كيف يكون الجنون قرارا فى مرض الذاتوية الطفلية Infantile autism!!! كيف يكون الجنون اختيارا فى مرض عتة الشيخوخة؟

د. يحيى:

أعذرنى يا رفيق أننى قسمت جملتك إلى قسمين، فأجلت الرد على ما يخص الفصام ليكون مستقلا عن هذا الجزء،

أتعجب منك يا أخى كيف تعتبر الذاتوية الطفلية infantile autism (وأشكرك أنك لم تستعمل اللفظ الخاطىء "التوحد") تعتبرها جنونا وأنه من بين ما نتحدث عنه.

ثم كيف تعتبر عتة الشيخوخه جنونا أيضا ضمن ما نتحدث عنه؟

ولكن لا .. لا.. عندك حق، كان لزاما أن أحدد تعريفا إجرائيا يختص بهذا الفرض (هذه الفروض) لكلمة "جنون"، حتى لا يحدث مثل هذا الخلط، إذن هو خطأ من جانبى، لكن عذرى – إن كان لى عذر – هو أننى حددت موقفى فى كل كتاباتى (الشاملة خاصة) بدءا من "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" حيث أننى كنت ومازلت أبدأ بالتنبية باستبعاد أنواع محددة مما يسمى الجنون الذى أتحدث عنه، وأؤكد أن كل فروضى لا تنطبق على هذه الأنواع المستبعدة، التى لها قوانين أخرى وقواعد أخرى وقد أسميتها "الجنون الفوضى" chaotic psychosis، الناتجة عن خلل تشريحى/جسيم أو مجهرى، بما يشمل الضمور ونقص الخلايا (التى لا تتجدد)، كما يشمل سوء التنظيم malorganizatiom الخِلْقى وربما الجينى، كل هذه الفئات مستبعدة تماما من كل ما أعنيه فى دراستى للسيكوباثولوجى، وأيضا من كل الدراسات السابقة التى تتكلم عن التركيب والغائية والمنظوماتية المرضية من أول كارل ياسبرز حتى أريتى وشولمان (نشرة 6-6-2008)

كم تكلمنا يا رفيق وعايشنا كل ذلك، ثم تأتى الآن يا شيخ تضرب مثلا بالذاتوية الرضيعية وعتة الشيخوخة؟

لم أفهم

لكنك أتحت لغيرنا – أنت وأنا – أن نوضح هذه النقطة لهم أثناء حوارنا، فقط دعنى أذكّرك، قبل أن ننتقل إلى ضم الفصام إلى تساؤلاتك، دعنى أذكرك بالحالة التى سبق أن أشرت إليها أنت فى هذا البريد (19-10-2007)، ذلك الكهل الطيب الذى قرر الانتحار بملء إرادته، مع احتفاظه بكامل قدراته المعرفية (المناسبة لسنه غالبا- القريب من سنى شخصيا)، ثم ما تطرقت إليه أنت فى وصفك لحالته حتى قلت:

د. رفيق (سابقا):

..... وإن كان هناك إمكانية إحداث Faire D'avenir

نقلة أو تجاوز أو تغير غير مطروحة عند المريض للضرر الذى أصاب الجهاز العصبى، إلا أن هذا لا يأخذ فى الاعتبار إمكانية نقلة عند من يصاحب المريض فى هذا المشوار الصعب. النقلة المحتملة والآتية إيمانا ليست فردية بالضرورة و لكنها تشمل من يحملون مشقة تحمل العلاقة.

د. يحيى:

هل أعدت قراءة ما كتبتُ سابقا لنا؟ وهل له علاقة بموضوعنا؟ خاصة وقد كنت قد كتبت أنت أيضا ما يلى:

د. رفيق:

...إن من واجبى كطبيب أن أرافقه فى هذه الرحلة، وأن أكون سببا فى **حركةٍ ما** عنده أو عندى بالرغم من يقينه اليائس المقبول عاطفيا ....

د. يحيى:

وأيضاً أنت الذى قلت هناك:

د. رفيق:

تساءلتُ ماذا يمنع مريضنا المسن وهو يفقد تدريجيا قدراته المعرفية والجسمية أن يكتسب نوعية أخرى من الوعى بالأشياء تمكنه من تجاوز رؤيته اليائسة والتصالح مع الأشياء وتأسيس معنى مغاير لوجوده؟

د. يحيى:

أليس فى كل هذا ردّ ضمنى لما أحاول أن أقدمه فى النشرة الأخيرة هذه، ألست أنت القائل أيضاً.

د. رفيق:

... قفز فى ذهنى مفهوم متعلق بالعلاج النفسى إذ يرتبط التحسن أو زوال الأعراض بعملية إحداث أو حدوث **تغير غير متوقع و غير محسوب من خلال مفردات متاحة** بشكل من الأشكال Faire D'avenir. مثلا...

د. يحيى:

ولا أنت ترجمت Faire D'avenir ولا انا فهمت قصدك تماماً ثم دعنى أذكرك بقول آخر قلته أنت أيضا فى نفس اليومية.

د. رفيق:

لا يكون التحسن بزوال المعتقد الضلالى فحسب وإنما بتغير مَا فى طريقة إدراك الواقع و التعامل معه.

هذا التغير ونوعيته غير محسوب، ولكن **ترقُّبَـــهُ** يدخل فى صميم مفهوم العلاج النفسى وأكاد أقول فى أى علاج إلا أنه فى العلاج النفسى يأخذ ترقب التغير مكانا محوريا بل يُسعى إليه من خلال طرق علاجية مختلفة...

د. يحيى:

كل هذا يجعلنا نتفهم أكثر فأكثر ما نعنيه حين نتكلم عن "الاختيار" (القرار، الإرادة، التغيير) الاختيار فى الجنون الذى أعنيه، وقد يعنيه كل من يتناول هذه القضية من هذا المنطلق (مستبعدا الجنون الفوضوى العشوائى الناتج عن الضمور والالتهابات والنقص الأولى يا شيخ)، إن هذا الموقف بالذات هو الذى أشكرك يا رفيق لأنك نبهتنى أن أؤكد من جديد أن مفهوم الجنون الاختيار الذى نتداول فى أمره يكاد ينحصر فى الفصام ، ثم فى كل الذهانات التى هى – فى تقديرى – دفاع ضد جنون الفصام بجنون أخف منه (راجع unitary concept)

لهذا تعجبت من تعميم اعتراضك ليشمل الفصام مع الذاتوية الطفلية وعتة الشيخوخة، توقفت طويلا عند قولك:

د. رفيق:

"كيف يكون الجنون فعلا عند الفصامى المتفسخ"؟

د. يحيى:

لا .. لا .. لا ..

من هنا يبدأ الاختلاف حتى الشجار، لايمكن أن أتصور أن يصدر عنك أنت بالذات هذا التساؤل يا شيخ، لا أريد أن أرجعك إلى كل المصادر التى سبق أن أشرتَ إليها فى هذه اليومية من أول ياسبرز حتى فهرس كامل للفصل الثالث فى كتابى حركية الوجود وتجليات الإبداع الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، الفصل بعنوان "عن الحرية والجنون والإبداع" ويمكنك –إن كان لديك الوقت– أن ترجع إليها لأن هذه المسألة بالذات يصعب إيجازها كما تعرف.

وسوف أعود إلى التطبيق بالتفصيل حين أفتح ملف الفصام.

يكفى أن أذكرك أن التفسخ فى الفصام وراءه غلبة العقل البدائى من ناحية، ثم هزيمة وتفكك العقل الأحدث المغترب من ناحية أخرى، وأن الاختبار كما أذكر أنى ذكرت فى النشرة، هو جماع الأثنين.

د. رفيق:

..إن الأبحاث حول المطاوعة العصبية أثبتت أن نمو الكائنات الحية يمر بمراحل حرجة تسمح باكتساب مهارات أو قدرات. مثلا إذا حرمت فئران حديثة الولادة من الإثارة البصرية فى زمن حرج فهى تفقد القدرة على الإبصار دون وجود إصابة عضوية.

أن نمو الكائن البشرى يمر أيضا بمراحل حرجة تحدد المسار المقبل و إذا كان ما يحدث فى هذا الزمن الحاسم يندرج تحت الاختيار و القرار فهذا لا يصح فى المراحل التالية بل و يمكن القول أن ما يحدث من قبيل القرار و الاختيار يمكن أن يكون

سابق للولادة و يرثه المولود دون قرار و لا اختيار. ما يحدث فى هذه المراحل الحرجة لا يتعلق بالفرد فحسب و إنما بمن حوله القرار هنا و الاختيار شائع بين أولى الأمر، إن ما يحدث فى تلك المراحل الحرجة ليس فقط من قبيل القرار أو الاختيار أنما قد يكون حدث عضوى جسيم غائر الأثر.

د. يحيى:

لم أستطع يا رفيق أن التقط جيداً العلاقة التى تريد إيضاحها، ومع ذلك أوافقك مع الاختلاف فى التفاصيل، ودعنى أعقب على ما جاء فى آخر رأيك فيما يتعلق بأن المسألة ليست فردية أساسا:

فإذا كان ثَمَّ عقل بدائى، فى لحظة فشل وتراجع العقل الأحدث قد رجَّح اختيار الجنون (من وراء ظهر صاحبه قبل أن ينكسر فيعترف) فإن احترام ذلك، هو احترام للمريض، الذى هو السبيل إلى البدء فى تنشيط عقول المريض الأخرى، جنبا إلى جنب، فى تضافر تفاعلى، الأمر الذى يتم (المفروض يعنى) مع تنشيط عقول (مستويات وعى) الطبيب،

إن جماع هذا معا هو الذى يختار العودة، ليس إلى العادية فقط بل إلى الطبيعة السوية.

إن العملية مشتركة وهى تأخذ فى الاعتبار باستمرار: تجدد كل المستويات معاً ثم توجهها – اختيارا بالمعنى الأعمق – نحو استعادة مسار النمو.

د. رفيق:

إذا كانت الفاعلية فى علاج الأمراض النفسية توجب الأخذ فى الاعتبار هذا البعد الاختيارى والإرادى إلا أنه خطأ فادح أن يهمل التشخيص البنية الآنية و تقييم جسامة الضرر المتراكم و مدى الحركة الممكنة وحجم فاعلية الاختيار والفعل الممكن .

د. يحيى:

ومن قال أن هناك أى احتمال لإهمال أى من هذا؟

ثم أنى تعجبت يا رفيق بعد كل ذلك أن تربط بين هذا المعنى الصعب للاختيار وبين مفاهم اختزالية ذكرتها أنت، وقد بلغنى -بصراحة- أنها خارج السياق وذلك فى قولك:

د. رفيق:

إن طرح مبدأ الاختيار و الإرادة فى الجنون بالرغم من دلالته كان وراء تجاوزات مثل مفهوم الأم محدثة الفصام schizophrenogenic mother أو ربط الذاتوية الطفلية بسمات شخصية الوالدين، هذه النظريات أخطأت بهذا التبسيط المخل فى فهم الأمور بشكل أشمل.

د. يحيى:

لقد وصلنى استشهادك بهذين المفهومين خارج السياق،

لا أظن أن تأثير الأم (انجنى عليها أحيانا) فى مفهوم الأم محدثة الفصام أو ربط شخصية الذاتوية الرضيعية بسماتٍ عند الوالدين هو خطأ على طول الخط، ولا هو أمر يصح المبالغة فى قبوله بربط سببى مسطح، لكنها عوامل متضفرة توضع فى الاعتبار طول الوقت، ولا تنفى فكرة الاختيار كما نتناولها، وليس كما تنفيها هذه السببية التى تبدو حتمية أحيانا.

.....

.....

يا ترى يا رفيق هل تتابع تلقائية وشطحات الابن رامى عادل، الذى حسبه الدكتور منير زميلا طبيباً. ما رأيك أن نبدأ فى جمع ما نشرناه له (وهو ليس كل ما كتب لنا) لنتعلم كيف يكون الجنون اختيارا، وكيف يكون الشفاء إبداعا (اختيار أيضا)

دعنى أنهى هذه اليومية بالمقتطف السابق وروده فى ردى على د.منير ثم بالمقتطفات التى وصلتنى هذا الأسبوع من الابن الصديق رامى عادل دون تعليق.

وعموما، فأنا فى انتظار وصولك يا رفيق مصر بعد أيام، كما قالت لى "أمانى" ولكن إياك أن تفتح هذه المواضيع فى إجازتك، فتحرمنى من بناتى، دعنا نمارسها فقط.

والآن: استسمحك أن نستمع إلى بعض التعقيبات حول نفس النشرة.

****

د. منير شكر الله

أشكرك بالغ الشكر على هذا الرد المفصل الذى أجاب عن الكثير من أسئلتى والذى حفزنى للتساؤل عن أشياء اكثر والذى أيضا زاد من حيرتى فى بعض الجوانب _ وأنا أعلم ان هذا طبيعى فى مجالنا!!!

قرأت أيضا التعليق البليغ للزميل رامى عادل الذى ربما لخص و كثف فيه الكثير من أفكار حضرتك .بالطبع سأحتاج بعض الوقت لكى أهضم كل هذا الكلام ولكى أقرأ المقالات والكتاب التى أشرت إليها حضرتك .وأستأذن حضرتك فى إرسال إستشارة أخرى قريبا لحالة سيدة تعانى من الفصام

وأنا حاليا أكتب هذه الحالة لإرسالها لهذا الباب وأستأذن حضرتك فى تزويدك بمقتطفات مطولة من كلامها كما قالته حرفيا وكما سجلته حالا فى وقت نطقها به. و أنا افهم بالطبع أن مساحة الإستشارة لا تحتمل بالضرورة نشر كل كلمة عن الحالة .

د. يحيى:

أهلا بك يا د. منير، ومجالاتك وقتما تشاء، أكرر شكرى، ولك وللابن رامى عادل، المكافح الأزلى، وهو ليس زميلا بمعنى طبيب أو معالج، بل هو صاحب خبرة خاصة جدا، يمكن أن ننهل منها – كما قلت لرفيق حال – إذا أذِنَ بقدر قد ينير لنا كثيرا من جوانب المسألة.

ثم إننى لاحظتْ يا د.منير أنك – ولك الخيار– فى حاجة إلى أن تشاركنا الحوار الذى بدأ مع د. رفيق الآن وقد يمتد، لأن المسألة لا تقتصر على إجابات أو توصيات لحالة بذاتها، وإنما هى قضية شائكة أرجو أن نصل فيها إلى رؤية عملية مفيدة نسبيا، أما التنظير فأظن أنه سوف يكون أصعب.

د. نعمات على

أعجبنى فى البداية اسم اليومية جدا وعند قراءتها لا أعرف لماذا أنا حسيت بالصدق فى كل كلمة فيها ولكنى بعدها تساءلت؟ كيف يقدر الإنسان بعد ما يكون مجنونا أن يرجع فى رأيه؟ فإذا كان الجنون قرارا؟ فما دور المعالج فى ذلك؟

د. يحيى:

الذى وصلنى بعد طول خبرتى هو أنه فى عمق معين أثناء مسيرة العلاج، وعلى مستويات متعددة، تصبح الإرادة العلاجية هى جُمّاع إرادة كل من المعالج والمريض، هذه المستويات لا تقتصر على اتخاذ قرار سلوكى ظاهر محدد بقدر ما قد تمتد إلى أعماق وجودية، ربما تكون على علاقة بإرادة الحياة أو إرادة التغير أو إرادة الإبداع من يدرى؟

أعتقد أن هذا يجرى فعلا لكن يصعب رصده أو فصله.

د. محمد أحمد الرخاوى

من تجربتى المتواضعة وانا ادعى انى احمل زخم قوى جدا من جينات فائقة التطور ارى ان الوعى الكامل هو موجود غالبا وهو اكبر من اى شرح او تنظير

اعنى ان تضفر الوعى بكل مستوياته-وانا اوافق ان للوعى مستويات- مع البصيرة -حالة كونها الوجه الآخر للابداع- مع الفعل القاصر الحتمى الآنى قد تؤدى الى نوع من الوجود يسبق كثيرا ما هو موجود حالا وفى نفس الوقت قد يفشى ما قد خفى من ارهاصات التقدم او التدهور.

كل هذا قد ينقذ من الجنون بمعنى فقدان هذا التضفر من ناحية وفى نفس الوقت يزيد من وحدة صاحب هذا النوع من الوعى .

اذن ماذا
اذا كان للانسان ان يستمر كنموذج لكائن حى فائق التطور فعليه ان يسلك هذا الدرب فهى الامانة التى رفضت السموات والارض والجبال ان يحملنهاوحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا

د. يحيى:

هذا طيب ، شكراً لك، أرجو ألا ترجع يا محمد للخطابة والتعميم لو سمحت، ثم لا تنسى أن هذه الجينات التى أسميتها "فائقة التطور" قد تكون هى هى جينات الجنون، (حسب نظريتى). يبدو أنك لا تعرف شجرة العائلة جيدا.

د. هانى الحناوى

ردا على افتراضية \"كيف يكون للجنون عقلا "\تذكرت اول تساؤل لى فى اول مرور للدكتور يحى الرخاوى و قد بدأ رده وقتها مناديا لى بأسم أخر \"يا دكتور عبد الستار\" و كانت مخاطبته لى هى بداية \"حركة الوعى "\المفهومى عن الطب النفسى عموما و خاصة ان بداية ممارستى له كانت فى \"قالب\" مدرسة مختلفة تمردت عليها بعد ذلك .. المهم ان رد الدكتور يحيى وقتها كان بخصوص سؤالى عن رموز الذهان فى مريض وسواس قهرى و عندما قرأت رده اليوم فى معنى \"هدف الجنون و عقله\" تذكرت خبرتى فيما تعلمته منه عن \"ارهاصات الذهان الاولى\" و هى ربما تكون بمثابة بوابة معرفية لفهم\"ميكانيزمات العقل و رموزه فى الجنون او الذهان\" تلك التى نسمعها كثيرا من المحيطين بالمريض قبل ظهور الاعراض الواضحة \"لهم\" و هذه"\ الارهاصات\" لو يتم تحليلها معرفيا و ربطها بالمعطيات المعرفية والزمنية- بنقلاتها- فى شكل منحنى تحليلى لربما وجدنا صياغة مختلفة لمعنى الامراضية الباثولوجية للمريض و بالتالى المآل الخاص بحالته...

د. يحيى:

هذه الظاهرة المتعلقة بدرجة ونوعية ومستوى ما نسميه "الاختيار" لا تظهر قبل بداية الجنون عادة (بعد استبعاد ما أشرنا إليه من الأنواع الأخرى فى الرد على د.رفيق) ولا هى يمكن فحصها فى عمق وتمادى خبرة الجنون، فهى تكون أوضح ما تكون فى الجنون (الفصام بالذات)، المبتدئى Incipient Psychosis ، وأيضا فى النقاهة النشطة الممتدة (إلى ما هو أفضل مما كان قبل خبرة الجنون)

وربما ما يمثله لنا فنتعلم منه، نشاط والتزام وطلاقة الابن رامى عادل هو ما أعنيه بتعبير: النقاهة النشطة، ويمكن متابعة بعض تجلياتها منذ بداية النشرات، لكن دعنى الآن اجمع بعض انطلاقاته التى وردتنى هذا الأسبوع دون تعليق لأنهى بها بريد اليوم

* * *

رامى عادل: <u>حوار/ بريد الجمعة 18 يوليو 2008</u>

قد يعجب شخص بالجنون كفكر وفعل خارج، الا ان إدمانه – بعد التخطيط له- طريق شائك بالغ الخطر، ومن عمق اثارته يستحلى الشخص اللعبه الطائشه اللانهائيه. فيختار واقعا مغايرا لا يكتمل ابدا. متأرجحا بينه وبين الهزيمه. رافضا التخلى او التنازل عن يوتوبيا يسكنها الخلل. لكن شيئا من الجنون قد يكون مسكنا فعالا مستعيضين به عن لوازم الواقع

* * *

أ. رامى عادل

وسط المخاض واستحالة الرؤية. تغشانى الحمى ويتجاذبنى القهر.استجل المرض.تبردنى المحاوله، تتدافع الحلول.تتشابه ردود من حولى احيانا، فاتاكد وتتوازى الطرق.تتساوى الفرص نهائيا . ويجى على ما اصابك يا يحيي، فلا تدع سن قلمك .. فقد ابرمت الحبكة. هزلت خطاى .. ولدى واينع صباك.

د. يحيى:

هل أستاذنك يا رامى أن أعرض مداخلاتك، وأطرحها أمام د. رفيق، ود.منير، وبقية المشاركين اليوم دون تعليق لأننى أخشى انقطاع طلاقتك لو شعرت أننا نضع تلقائيتك تحت الفحص والمناقشة

شكراً مقدماً،

وإن كنت لا أعرف مخرجا من هذا المأزق دون المساس بتلقائيتك التى قد تحرمنا منها أو منك.

* * *

أ. رامى عادل

استقلالية المريض – فى وقت الجلسه/الاختبارنفسه – باهظة التكاليف وغير متوقعة وقد تحدث فى جزء من الثانية، بعد كدح مرير ويشترك المعالج والمريض فى بعض الاحيان فى كشف مفاجيء. اقصد انهما يتعرضا سويا لنفس الخطر (الفيروس). ويكون ابتكار احدهما لوسيلة فعالة ومكافئة هى الفيصل. عذرا للايجاز .

د. يحيى:

لا تعليق

*****

أ. رامى عادل

جنونها خرق وشغب ، كثيرا من جنونه عتاله واوهام قوه ، وللقائهما وزن لا يضاهى، ان تنزل للحضيض بإرادتها، ان تقبضه اليها، ألا يصدها، فيتواءما .شكرا

د. يحيى:

لا تعليق

*****

المقامة الرابعة: ليلةُ قدْر

أ. رامى عادل

يرنو لهاتف يسرى عنه، يتلقاه فى وسط الأخاديد فلا يكاد

يسيغه، تتلوه أقاصيص دهر مندثرة، تعيقه عن الفهم، يقصد بجلبابه القصير جنون الأزقه، يتمهل اللحن الصديق يقطره، مازال يقطره يبغيه، ينشده، خاصمته الهرر الصامته، ضالته.

د. يحيى:

لا تعليق، إلا الإشارة إلى أن تعقيب رامى كان عن المقامة الرابعة، وهى بعيدة عن هذه النشرة، لكنى وجدته أقرب إليها.

*****

أ. رامى عادل

..... ولذلك تجب الثقة في قدرة الطبيب على النفاذ وإيجاد حلول لم تكن مطروحة من قبل وكل بطريقته.

ومن المدهش ان نفاجا بما لم نكن نحن إلا في حضرته بالذات, فيكون كما يكون دون وصايه عبئيه.ونكون نحن كما لم نكن من قبل.

د. يحيى:

ليس كل طبيب طبيب يا رامى

ربنا يخليك

*****

(اعتذار مكرر: سوف نواصل الرد على بقية تعقيبات النشرات الأسبوع القادم)

السبـــــــت 26-07-2008

330- تألّـــم: الصـــــــورة تطلـــــــع "حقيقيـــــــة"!!

تعتعة

كان ذلك منذ عشرين عاما تقريبا: كنت فى بوسطن، أزور صديقا لم يتأمرك تماما، وحين اقتربنا من منزله حيّانا ابنه الشاب، بأنه: "هائ"، (لم أكن أعرف بعد لغة: "الهائ"-"يالا بائ"). انطلق الشاب يرطن بالإنجليزية الأمريكانى، مع أن أمه امرأة مصرية من شبرا، وحين طلب والده منه تصويرنا للذكرى، رحّب الشاب، وقال كلمتين بالإنجليزية لم ألتقطهما، فأفهمنى والده أنه يطلب أن "نبتسم"، ونحن ننطق لفظ "شييز" Say Cheese، سألته: كيف؟، قال: قلها وسوف تظهر أسنانك فتبدو ضاحكا، (لم يكن فيلم أحمد زكى قد ظهر بعد) وافقت تأدبا، وحاولت أن أظهر أسنانى، فبدت – حين تسلمت الصورة- أننى كشرت عن أنيابى لا أكثر، أخذت أبحث عن كلمة بالعربية مقابل كلمة "تشييز" ربما احتجناها من باب العولمة، فاهتديت إلى كلمة "مِعـِييزْ"، بعد أن مرت بخاطرى كلمات لا تليق.

حضرتنى هذه الذكرى، وأنا أتأمل المرة تلو المرة صور ابتسامات زعمائنا، ورؤسائنا، ووزرائنا، أو حتى صورنا مع أعدائنا الأصدقاء الألداء، رحت أتساءل: يا ترى ماذا يقول لهم المصوّرون حتى يبتسموا هذه الابتسامات "النصف نصف" التى هى هى طول الوقت؟ طبعا لمت نفسى، فالابتسامات الدبلوماسية ضرورية للشىء لزوم الشىء، لكن ما هو هذا الشىء تحديدا، الذى له كل هذا اللزوم والإلزام؟

ثم تصادف أننى أعيد قراءة مجموعة قصص ليوسف إدريس، وقد توقفت أطول عند قصة "لغة الآى آى" (وهو اسم المجموعة)، خصوصا وأن رئيس التحرير "أبا يحيى" قد استشهد بها منذ أيام فى افتتاحيته هنا، أثناء القراءة: تعاطفت بداهة مع تلك البقايا لذلك الهيكل الآدمى الفلاح المصرى العجوز "فهمى" الذى لم يتبق منه إلا مستقبلات الألم فى المثانة المتهتكة بالسرطان يعصره عصرا، لكننى فى نفس الوقت تعاطفت مع مضيفه ("الحديدى" الشاطر الناجح جدا) الذى استيقظت فيه شهامته رغما عنه حين آوى بلدياته فهمى متورطا، ثم إذا

به يستعيد حقه فى الحياة حين يعرف قيمة الألم ومعناه من خلال تقمصه آهات زميله القديم، بديلا عن غيبوبة الموت الذى هو فيه بكل ما حقق من نجاح، رأيت فهمى بهزاله وصدقه وألمه وهو يعانى ".. ألم سرطان المثانة حين يزحف مع الليل، حين تبدأ قطرات البول تتجمع" لتكويه كيا، كما رأيت سعادة الحديدى بألمه الشريف الذى تفجر فيه نتيجة تقمصه ألم ضيفه، فاكتشف من خلاله الحياة من جديد..، "..... كل الفرق أنه ليس له حق فى التوجع مثله" (مثل فهمى)، "...المقياس الوحيد للحياة هو أن تشعر بها، وأنا لم أشعر بها ..إننى أقضى حياتى كعملية حسابية دقيقة هدفها الوصول.."

توقفت أتساءل: أين كل هذا على الناحيتين، من تلك الإبتسامات الرسمية المؤتمراتية الفاترة المصنوعة للتصوير الخارجى؟؟!!"

"الفرح" ليس عكس هذا الألم الذى أشير إليه، بل هو يبطنه!

السعادة هى جزء من هذا الألم الحى،

أما ما هو عكس هذا الألم فهى، البلادة، واللذة المنفصلة، والاستسهال، والكذب.

أعرف أن الكتابة عن الألم غير معايشة الألم، وأن "اللى بينجلد غير اللى بيعِدّ"، لكننى لا أعرف وسيلة أخرى تنقل إليكم، إلينا، إليهم، ما يصلنى من مرضاى ومن مبدعينا، وأحيانا من نفسى، عن شرف هذا الألم الخلاق، أتساءل بصراحة: هل يتألم وزاراؤنا ورؤساؤنا أصلا؟ متى؟ ولماذا؟ ولمن؟؟ هل من المحتمل، ولو أحيانا، أن يعايش أحدهم بصدق ألم الجوع والمهانة التى يعانى منها جموع الناس؟ هل أنا أحلم حين أتمنى أن يشعر بعض رجال الأعمال بألم الحياة والأحياء، وبألمهم شخصيا، بديلا عن هذا الموت التراكمى الذي يحبسون أنفسهم فيه داخل حجرات التحنيط الترفيهى، المبنية بحجارة أهرامات الشيكات والأوراق المالية ؟

حين حذرت من الانسياق وراء استعطاف الحكومة أو تهييج الناس بدموع البنات والأمهات الباكيات الناتجات على صعوبة الامتحانات، كنت أحاول أن أنبه إلى خطورة الخلط بين ألم الشعور بالظلم (أهى جت على ناس ناس) وبين حق الناس الأساسى فى الألم الشريف الذى يبنى ويعلِّم، إن الوعى بالألم الإنسانى، لنا ولغيرنا، هو من أرقى العواطف البشرية، ولهذا أعتب على زملائى أطباء النفس الذين يختزلونه عادة إلى ما يسمونه "الاكتئاب"؟

نحن نلغى شرف معايشتنا هذا الألم أولا بأول: بالاكتئاب الذى يحل محله ، أو بالدموع التى تجهضه، أو بالانسحاب الذى يغرى بتجنبه (بما فى ذلك انسحاب 67، وأيضا الإعلان من جانب واحد عن آخر الحروب، التى لا تنتهى قبل آخر الزمان !!)

شكرا لعمنا الشيخ حسن نصر الله، وهو يذكرنا بشرف الألم، وألم الشرف، فى عمق احتفالية استعادة الأسرى

الأحـــــــــــد 27-07-2008

331- استشـــــــــــارات مهنيـــــــــــة (7)

أعراض الرأس فى الفصامى، والعين الداخلية

د. أميمة:

فى إحدى يوميات البريد أشاد أحد الضيوف الأفاضل بالمفهوم الجديد الذى تفضلت بشرحه عن علاقة آلام الرأس بمرضى الفصام، ولم أفهم بالطبع إذا كان هذا الشرح من خلال محاضرة أو ندوة أو عرض لحالة أو غيره وأثارنى الفضول خاصة و أننى أقابل هذه الشكوى كثيرا فى عملى مع الفصاميين ، ولكننى تحرجت من السؤال حتى لا أثقل عليك.

ولكن حدث بالمصادفة أن توليت علاج إحدى المريضات، كنت أعالجها منذ عامين تقريبا وحضرت اربعة اشهر من جلسات العلاج الجمعى، ثم ظنت أنها تحسنت فصممت على الخروج رغم نصحى لها بالبقاء وقتا أطول، ورجعت بعدها إلى المستشفى عدة مرات ولكن للأسف إما أنها تدخل قسما آخرا غير الذى أعمل به ، أو عند طبيب آخر غيرى ، حتى التقينا اخيرا.. وأنا سعيدة فعلا بالعمل معها.

"\صفاء\" عمرها 32 سنة، دبلوم خدمة إجتماعية ، لا تعمل (لم تعمل أبدا) ، غير متزوجة، وتعيش مع أمها و أبيها. مريضة منذ 8 سنوات(حسب كلامها) و إن كنت أعتقد ان المرض بدأ قبل ذلك بكثير على شكل انطواء و إدراك غريب لما يحيط بها من أشياء، ومشاعر مرتبكة ومتداخلة ناحية أهلها وزملائها فى المدرسة. ليس لديها تاريخ مرضى فى العائلة. تعانى من الهلاوس السمعية والبصرية وهى دائمة الشك فى الآخرين مما يجعلها دائما على حافة الغضب، لا تمد جسور الثقة بسهولة مع أى مخلوق ولذلك فأنا أعتبر ما تقوله لى ثمين جدا ربما لن تكرره لغيرى. لن أطيل فى أعراض الحالة وسأركز على آلام الرأس. ما يلى هو نص ما قالته لى من فمها – بعد استئذانها لأكتبه – تخلله سؤالان من جهتى و لكنى حذفتهما ووضعت بدلا منهما أدوات ربط:

"\أنا جيت المرة دى لأنى تعبت جدا، دماغى بتوجعنى، الأعصاب وكل حاجة فى دماغى راكبة على بعضها، لما أقرأ

الألغاز (تقصد القصص البوليسية المخصصة للأطفال الكبار نوعا) ، بأحاول زى كل الناس أحل اللغز، يعنى كدة بأحاول أفهم و بابذل مجهود جامد..بأحس إن دماغى وجعتنى قوى، ألم يعنى خبط ، نبض، نبج فى راسى و أحس إنى عطشانة لأنى بأعرق لكن مابأعرقش..عارفة زى اللى نزل البحر وقعد فى الشمس علشان ينشف (صفاء مسحت جبينها وفركت أصابعها لتفهمنى ما تجده على جبهتها بدلا من العرق) ألاقى حاجة كدة..نفسى أعرق علشان أرتاح"\

ثم وصفت بعد ذلك بعض هلاوسها وعندما سألتها إذا كان لها علاقة هى الأخرى بآلام رأسها، ترددت ولم تستطع تأكيد العلاقة ولكن لم تنفها أيضا.. من هذه الهلاوس: \"بأشوف خيالات كتير..أشخاص صغيرة قوى زى اللى فى الصور(سألتها فقط بدافع الفضول لا أكثر إذا كانت ملونة) فهزت رأسها بالإيجاب بشدة : أيوة ملونة بتدخل فى دماغى و تخرج منها (سألتها إذا كانت تأتى من الخارج لتدخل دماغها أم أنها من الداخل إلى الداخل أيضا فبدا لى و كأنها فوجئت بالسؤال و أنه أثار تفكيرا ما فى رأسها ولكنها لم تستطع الإجابة... ربما فكرت أنه إذا كانت الصور من الداخل فكيف تراها إذن بعينيها..)

لآأعلم إذا كان هناك علاقة لأى مما سبق بموضوع آلام الرأس عند الفصاميين الذى تحدثت عنه ، ولكننى سأكون شاكرة لو ألقيت لى بعض الضوء على هذا الموضوع المهم حين يسمح لك الوقت.

د. يحيى:

كالعادة نشرت الحالة كلها كما وردتنى، ثم أبدأ بالتعقيب فقرة فقرة.

د.أميمة:

فى إحدى يوميات البريد أشاد أحد الضيوف الأفاضل بالمفهوم الجديد الذى تفضلت بشرحه عن علاقة آلام الرأس بمرضى الفصام، ولم أفهم بالطبع إذا كان هذا الشرح من خلال محاضرة أو ندوة أو عرض لحالة أو غيره وأثارنى الفضول خاصة و أننى أقابل هذه الشكوى كثيرا فى عملى مع الفصاميين ، ولكننى تحرجت من السؤال حتى لا أثقل عليك

د. يحيى:

أولا: أنا لا أذكر هذا البريد الذى فيه تعليق الضيف أو تذكرته هذه، وإن كنت أعرف أننى أعرج إلى هذا الموضوع عادة فى كثير من دروسى، وقد بدأ اهتمامى به منذ كنت أقرأ فى كتاب صغير هو مرجع مقرر فى الطب النفسى تأليف هندرسون وجيلبسى، ربما سنة 1958 وقد ذكر تحديدا ما أسماه Bizarre Cephalic Hypochondriasis وترجمته صعبة بالعربية، هكذا: هو "المُراق المشوش الشاذ حول الرأس"، وقد ذكره المؤلف كأحد

أعراض بداية الفصام أو ربما ما قبل الفصام، ثم بدأت ألاحظ بعد ذلك كثرة إشارة الفصاميين لرؤوسهم بشكل أو بآخر، وكأنهم يرصدون ما يجرى داخلها من عدم اتساق قبل التفسخ أساسا ثم بعده، وبالرغم من تواتر هذه الشكاوى فعلا عند الفصامى أكثر من ذهانات أخرى، إلا أننى لم أتوقف طويلا عند دلالة ذلك، فقط لاحظت أن الفصامى لا يشكو من الصداع بنفس ألفاظ الشخص العادى أو العصابى، وإنما هو يشير إلى أجزاء بعينها فى رأسه، ويصف ما يعتريه بألفاظ تبدو كأنه يرى الآلام ، وكأنه يشاهد – رأى العين- التغيرات الجارية فى الداخل (قبل أن يعتبرها هلاوس). فهو لا يحس بما يشاهده ألما فى الرأس = صداعا (معنى الصداع تحديدا هو "ألم بالرأس -Head ache)، وإنما هو يستعمل اللغة المتاحة لوصف ما لا يوصف باللغة المتاحة، أيضا الفصامى عادة لا يشير إلى رأسه ككل بقدر ما يشير إلى مناطق مختلفة، ومسارات مختلفة لما يشعر به ألما أو غير ألم، كثيرا ما يشير المريض الفصامى إلى خلف الرأس (القفا) أكثر من مواقع أخرى، وقد تصورت فى مرحلة ما أن اتجاه الألم ومساره، أو اتجاه أى شعور بالرأس، إنما يشير إلى توجه الطاقة الحيوية، مثلا إلى الخلف والوراء، تصورت أن الفصامى يرصد بذلك عمليات النكوص والتراجع بيولوجيا، ، ومع أن بعض الحالات رجحت هذا التصور، إلا أننى عدلت عن أغلبه، لكن دعينا نقرأ معا حالتك أولا.

د. أميمة:

.... حدث بالمصادفة أن توليت علاج إحدى المريضات، كنت أعالجها منذ عامين تقريبا وحضرت اربعة اشهر من جلسات العلاج الجمعى، ثم ظنت أنها تحسنت فصممت على الخروج رغم نصحى لها بالبقاء وقتا أطول، ورجعت بعدها إلى المستشفى عدة مرات ولكن للأسف إما أنها تدخل قسما آخرا غير الذى أعمل به ، أو عند طبيب آخر غيرى ، حتى التقينا اخيرا.. وأنا سعيدة فعلا بالعمل معها.

التعقيب:

مع كل احترامى يا أميمة لكفاحك للعلاج وللتعلم فى آن واحد، ومع علمى التام بالظروف التى تعملين بها، فقد كنت فى مجلس المراقبة لعدة سنوات، وزرت مستشفى المعمورة مثلما زرت سائر المستشفيات، وأعرف كثيرا من الظروف والإمكانيات، لكننى لم تتح لى فرصة أن أعمل فى بداية حياتى العملية فى مستشفى للأمراض العقلية مثل مستشفاك او مستشفى العباسية، فحرمت بذلك من أن أعيش مع المجانين أصحاب الفضل، فكان تعلمى ناقصا طبعا، ومع ذلك كانت علاقتى بالمجانين (أنا أفضل هذا الاسم كما تعلمين عن اسم الأمراض العقلية أو النفسية، هذا اسم صريح قوى، أقوى من كل التردد والتحايل)، المهم لم أعرف هذا النقص فى تدريبى إلا حين أتيحت لى الفرصة أن أعايشهم ليل نهار فى مستشفى خاص، وإذا بى أعرف معنى أن أقوم بمساعدة مجنون أن يستحم، أو أن أقوم شخصيا بحلاقة ذقنه، وأن أكلف

أطبائى بذلك ليعرفوا معنى الجنون وقوة العلاقة وشرف المسئولية، وزاد من فرصتى هذه علاج الوسط ونشاطاته حين أمسك الفأس بجوار مريضى وليس واقفا على رأسه ..إلخ. من هنا أستطيع أن ألم ببعض ظروفك، وأحترم إخلاصك وإصرارك برغم كل المعوقات، كل هذا يسمح لى أن أقول لك بعض الملاحظات البادئة:

.... حين تقولين يا أميمة مثلا "ثم ظنت أنها تحسنت فصممت على الخروج رغم نصحى لها بالبقاء وقتا أطول" أتساءل عن المعايير التى تقيسين بها "أنها تحسنت" وتفرقين بين ذلك وبين "ظنت أنها تحسنت"، وأيضا لا أستطيع أن أتابع مبررات نصحك لها بالبقاء ..عرفت من حوارك ورسائلنا أنك ماهرة وأمينة ومحبة (وشاطرة ومتعلمة) لكننى أتصور أن هناك قواعد غائبة عنى فى حكيك أنت أدرى بها فاعذرينى، مثلا: تبقى إلى متى، وإلى أين، ثم ماذا ..إلخ

ولكن دعينا نتعرف على مريضتك أولا:

د.أميمة:

"صفاء" عمرها 32 سنة، دبلوم خدمة إجتماعية ، لا تعمل (لم تعمل أبدا) ، غير متزوجة ، وتعيش مع أمها و أبيها. مريضة منذ 8 سنوات(حسب كلامها) و إن كنت أعتقد ان المرض بدأ قبل ذلك بكثير على شكل انطواء و إدراك غريب لما يحيط بها من أشياء، ومشاعر مرتبكة ومتداخلة ناحية أهلها وزملائها فى المدرسة. ليس لديها تاريخ مرضى فى العائلة.

التعقيب:

إسمحى لى أن أقول لك قبل أن تكملى، كيف أستمع إلى هذه المعلومات الأولية قبل أن أسمع شكوى المريض أصلا، ولعلك لاحظت بعض ذلك فى هذا الباب تحت عنوان "الاشراف عن بعد"، هذه المعلومات الأولية تسبق عندى فى الأهمية أية أعراض متعلقة بالرأس، أو بغير الرأس، حتى أنها تسبق أهمية الهلاوس والضلالات إلخ، مريضتنا، أنسة (غالبا) ، فى مصر، لا تعمل، (لم تعمل أبدا) وعندها 32 سنة، قفْ،

ماذا أمام هذه الفتاة لتملأ بها دماغها، حياتها، وجودها أصلا؟ وماذا نتوقع منها ولها إذا هى مرضت، حتى الجنون، ولكل هذه السنوات، أى فائدة يمكن أن تجنيها من الشفاء سواء بالعلاج الجمعى، أو العقاقير، أو أى شىء آخر، حين تخرج من المستشفى لتعود إلى هذا اللاشىء الذى فرض على وجودها الآن، وكيف لا نتوقع أنها ستعود وتعود وتعود، وماذا يفيد حرصك – الكريم – أن تبقى وقتا أطول فى المستشفى، هذه أمور عامة بعيدة عن تساؤلك المحدد، لكننى أصر على البدء بها حتى نعرف أن التركيز على الأعراض ومعناها ودلالاتها ..إلخ، ليس غرضا فى ذاته، اللهم إلا فى مجال البحث العلمى، وهذا وارد ومفيد، لكننا أطباء قبل أن نكون علماء، المهم: دعينا نكون علماء لنصبح أطباء أفضل. هيا:

د. أميمة:

(جاءت) تعانى من الهلاوس السمعية والبصرية وهى دائمة الشك فى الآخرين مما يجعلها دائما على حافة الغضب، لا تمد جسور الثقة بسهولة مع أى مخلوق ولذلك فأنا أعتبر ما تقوله لى ثمين جدا ربما لن تكرره لغيرى.

التعقيب:

أيضا، إسمحى لى أن أتحفظ على جزئية يسيرة، فنحن إذ نفرح بثقة المريض فينا، وأنت تستأهلينها فعلا، يستحسن ألا نقصر تصورنا على أنها غير واردة لأحد غيرنا، أما أن ما تقوله ثمين جدا، فهو ثمين جدا فى كل الأحوال، ولا يحتاج أى تبرير، أنا آسف،

هيا نستمع إلى موضوع الاستشارة الخاص كما قلت أنت:

د. أميمة:

لن أطيل فى أعراض الحالة وسأركز على آلام الرأس.

التعقيب:

هل تسمحين لى أن أذكرك – كما جاء فى المقدمة – أنها الأعراض والمشاعر المتعلقة بالرأس (والدماغ) وليست بالضرورة "آلام" الرأس" Head-ache ، وهذا ما بدا فى نص كلامها فنسمعه:

د. أميمة:

ما يلى هو نص ما قالته لى من فمها – بعد استئذانها لأكتبه- تخلله سؤالان من جهتى ولكنى حذفتهما ووضعت بدلا منهما أدوات ربط:

"\أنا جيت المرة دى لأنى تعبت جدا، دماغى بتوجعنى، الأعصاب وكل حاجة فى دماغى راكبة على بعضها، لما أقرأ الألغاز (تقصد القصص البوليسية المخصصة للأطفال الكبار نوعا) ، بأحاول زى كل الناس أحل اللغز، يعنى كدة بأحاول أفهم و بابذل مجهود جامد..بأحس إن دماغى وجعتنى قوى، ألم يعنى خبط ، نبض، نبح فى راسى و أحس إنى عطشانة لأنى بأعرق لكن مابأعرقش..عارفة زى اللى نزل البحر وقعد فى الشمس علشان ينشف (صفاء مسحت جبينها وفركت أصابعها لتفهمنى ما تجده على جبهتها بدلا من العرق) ألاقى حاجة كدة..نفسى أعرق علشان أرتاح"

التعقيب:

دعينا نتفق أولا ألا نسارع بإدراك كلمات المريض كما ندرك الكلام العادى، حتى لو استعمل نفس الألفاظ، الذى يعيننا على ذلك هو أن نبدأ مما لم نتعود عليه، ثم نرجع إلى المألوف فنفهمه فى هذا السياق المختلف، مثلا : حين تقول مريضتنا هنا

"..... خبط ، نبض، نبح فى راسى" بعد قولها " دماغى وجعتنى قوى"، هذا **الذى جاءها بعد محاولتها بذل مجهود عقلى:"** لما أقرأ الألغاز، بأحاول زى كل الناس أحل اللغز، يعنى كدة بأحاول أفهم وبابذل مجهود جامد"، **هذا التسلسل هكذا يشعرنا أننا أمام بصيرة خاصة، ولنتذكر ابتداء أن المجهود العقلى مهما بلغ، ثم فشل فى تحقيق غرضه، لا يسبب صداعا عادة، (وجعا فى الرأس)، هو قد يسبب إحباطا، أو ضيقا أو غيظا، لكن مريضتنا هنا تربط بين محاولتها للفهم وهذا الشعور التى أسمته "دماغى بتوجعنى"، تتضح هذه الخصوصية اكثر حين تصف مشاعر مرتبطة باحتياجات أخرى، ومظاهر جسدية أخرى، ورغبة خاصة لها دلالتها، هذا الوجع يصاحبه (أو هو هو: تفصيل بعد تعميم) أنه (1) عطشانة،** (أحس إنى عطشانة) **هل هناك بالله عليك صداع يصاحب عطشا عندك أو عندى أو عند أى ممن تعرفين؟ وهل هناك عطش يصاحبه صداع، ثم هى تردف سببا غريبا للعطش** "لأنى بأعرق لكن مابأعرقش"، **ما أصعب ذلك وأعمقه، العرق الحقيقى الغزير قد يسبب العطش لنا، لكنها هنا تجعل العطش سببا فى العرق، برغم أنه غير موجود أصلا، بل هى تتمناه ولا يحدث** "نفسى أعرق علشان أرتاح"، **ثم هى تبادر بتفصيل اصعب:**

"..عارفة زى اللى نزل البحر وقعد فى الشمس علشان ينشف (صفاء مسحت جبينها وفركت أصابعها لتفهمنى ما تجده على جبهتها بدلا من العرق) ألاقى حاجة كدة.."

هل وصل للقارئ – و لك – أنها تعرق ابتداء؟، أم أن عرقها جف؟ أم أنه لم يظهر أصلا لتجففه الشمس، هذا ليس خلطا عشوائيا – فى تقديرى كما سنرى بعد – نحن اعتدنا إذا سمعنا المرضى ولم نفهمهم أن نسارع بوصفهم أنهم يقولون كلاما فارغا لا معنى له، وهذا غالبا هو ما دعى هندرسون وجلبسى فى المرجع التقليدى السالف الذكر أن يصف مثل هذه الأعراض بأنها "تخيل أعراض جسدية – مراق– دون وجود مرض جسدى)

مريضتنا هنا تعلمنا معنى آخر للصداع، وللعرق، ولرغبتها أن تعرق "عشان ترتاح"، وهى لا تعرق، برغم تشبيهها بمن ينشف فى الشمس بعد خروجه من البحر، فهى تشير إلى الجفاف من الشمس، وليس إلى البلل بالبخر، بدليل أنها تتكلم (وتشير) إلى ما على جبهتها بدلا من العرق (هل لاحظت كلمة بدلا من).

نتوقف هنا قليلا فأنا أشعر أننى بالغت فى احترام كلام المريضة دون تفسير كافٍ.

لقد وصلت من سنوات طويلة يا أميمة إلى فرض قدرة المريض (الذهانى) على إدراك العالم الداخلى، محتوى وحركية، بشكل مباشر ولم أسمه تحديدا إلا أنى اعتبرته إدراكا حقيقيا يقابل الإدراك الحسى للعالم الخارجى، وظللت مترددا فى الكتابة عنه ردحا طويلا، حتى قرأت فرض "سمز" Sims صاحب كتاب "أعراض فى العقل" Symptoms of the mind عن ما أسماه "العين الداخلية" Internal Eye ففرحت فرحا شديدا ولم يهمنى سبْق ما وصلت إليه.

هذا الفرض فسر لى مثل هذه الأعراض قبل أن يفسر لى الهلاوس (والأحلام).

تأكدت بعض معالم هذا الفرض عندى من مريض فصامى كان يحكى عن صعوبة فى الفهم مثل مريضتنا هذه، وساعتها لم أكن أسجل كلام مرضاى، لكننى أذكر أننى ناقشت مقولته فى درس إكلينيكى، لذلك لا زلت أذكرها،

كان طالبا فى الجامعة يشكو من صعوبة الفهم على الوجه التالى، لكن عندك،

إن هذا يحتاج من القارئ، وربما منك أن تعرف نوعا من الجمع للطباعة (قبل حكاية الكمبيوتر والطابعة الليزر والماستر ...إلخ) يسمى طباعة اللينوتيب (التى سبقتها الجمع بالحروف حرفا حرفا) هذه الطباعة تصنع الكلام أثناء كتابته على ما يشبه الآلة الكاتبة، فى أسطر من الرصاص، كل سطر منفصل عن ما يليه (أعقب ذلك ما يسمى المونوتيب، حيث حلت الكلمات من الرصاص محل الأسطر المتكاملة) أنتهى الاستطراد.

وصف هذا المريض عملية صعوبة الفهم بأن السطور تدخل فى دماغه مثل سطور اللينوتيب الرصاصية، سطرا سطرا، ولا تندمج فى بقية دماغه إلا بجهد إرادى منه، وقد كان دقيقا فى الوصف بشكل أدهشنى وفاجأنى.

الفصامى يا أميمة، خاصة فى البداية، أو أثناء العلاج المكثف مثل الذى تقومين به، يصاب (يعانى أو يتميز) بما نسميه "الوعى الفائق – المعيق فى نفس الوقت – بالعمليات العقلية العادية (وغير العادية: أنظر بعد)، وكأنها تحدث لديه بالسرعة البطيئة، بحيث يمكنه رصدها، ليس هكذا فقط، ولكنها لا تحدث تلقائية لا شعورية كما هى عند الأسوياء، بل تحدث فى درجة من الوعى الخاص، وأحيانا تحتاج درجة من الإرادة حتى تتم. فى مريضى القديم هذا فهمت من شكواه كيف أن الإدراك Perception الذى يحدث عند الشخص العادى فى جزء من ثانية لا يعرف منه العادى إلا نتائجه، يحدث عند الفصامى (فى البداية أو أثناء العلاج الجيد، أو بعد العلاج الجيد) بدرجة ما من الوعى، وبإيقاع بطىء (هل تتابعين رامى عادل فى البريد؟)

خلاصة القول: أن فرض العين الداخلية باعتبارها تقوم بإدراك مباشر للعمليات العادية هو أمر مختلف تماما عما يسمى الاستبصار – التأمل – الذاتى Introspection العين الداخلية هى "إدراك حقيقى برغم أنه ليس عبر أعضاء الحس الخارجية، وإن كان يسقط عليها ومن خلالها إلى الخارج فى حالة الهلوسة مثلا.

هذه قضية جوهرية تقلب فهمنا لأعراض الفصامى خاصة (وكثير من المرضى الآخرين خصوصا الهوس) وهى تحتاج إلى البدء باحترام مباشر لهذه الخبرة،

يمكننى بعد ذلك أن أقرأ بقية أعراض حالتك (وأغلب الحالات التى تشير إلى مثل هذا الوصف) باعتبارها رؤية مباشرة لعمليات جارية لا نستطيع نحن أن نراها

(ياه لم يبق لدى وقت !!!)

دعينى أقرا بعض أعراض مريضتنا بإيجاز على الوجه التالى:

مريضتنا قامت بتشغيل جهاز التفكير لديها، فى محاولة حل اللغز، فوجدته قد تجمد فى بعضه البعض (وهو عكس التناثر والتفسخ، وإن كان له نفس دلالته)، هذه المحاولة لفك التجمد بدرجة إرادية، هى محاولة مجهدة تماما، حتى العرق !!! لكنها لا تعرق من جلدها، من مسام جلدها، فتعرق جهدا، ولا تعرق نتحا، فهى تتمنى أن تعرق، قيصلنى ذلك على أنها تتمنى أن تستعيد مسام تفكيرها الحركية التى تجعل من التفكير عملية منسابة متماسكة تسمح بدجة طبيعية من الدخول والخروج، لكنه الجفاف العرقى إن صح التعبير،

هل يمكن أن يعرق الواحد منا إذا مرض جفافا كأنه سشوار ينفخ هواء ساخنا من فرط الجمود، هو يريد أن ينشف وهو لم يبتل فعلا

من هنا ختمت المريضة هذا المقطع بتعبير نفسى أعرق علشان أرتاح

فعلا

أحيانا يقوم العلاج الحقيقى بتحقيق هذه الأمنية، هذا ما لاحظته أثناء عدوى مع مرضاى لعشرين عاما تقريبا، كان العرق الجسدى يصاحبه عرق فكرى، بمعنى فتح مسام الفكر للآخر والواقع، وأن تقوم العلاقة العلاجية بتخليق مسام عرقية فكرية جديدة

على الناحية الأخرى، وقد أورد لكم يوما أمثلة من نص كلام المدمنين، يمكن أن يتم تخليق هذه المسام بشكل تعسفى مصطنع، بتعاطى المواد المخدرة أو المثيرة **stimulants** وهذا موضوع آخر

قبل أن اختم هذه البداية أشير إلى تطبيقى فرض "العين الداخلية" لتفسير نوم حرك العين السريعة **REM** ومن ثم الأحلام. (وأيضا بعض تنظيرى عن الإبداع)

وكل ذلك سوف أشير إليه فيما بعد حين أتمكن من إدخال الشرائح الشارحة له ولو بعد حين

وأظن بعد ذلك يا أميمة يمكنك أن تقرئى آخر فقرة ، دون تعقيب منى، باعتبار أن مريضتنا

ترى فعلا الهلاوس بهذه العين الداخلية، كما ترى حركية العمليات المرضية، والعادية أيضا بعد اضطرابها، أو بدون اضطرابها، بنفس العين الداخلية، ثم هى تحكى عما رأت –فعلا – إما بشكل مباشر، وإما بما تيسر من كلمات، بعضها نسميه هلاوس، وبعضها يبدو كأنه آلاما شاذة بالرأس

نختم بكلامك كما قلت دون تعقيب لعلنا نتدرب على ترجمة الفرض وحدنا بأن نصدق المريض وهو يصف

أولا: الحركة الداخلية

ثانيا: المحتوى الداخلى

حتى لو أسقطه إلى الخارج بشكل أعراض وأوجاع

تقولين:

د. أميمة:

....ثم وصفت بعد ذلك بعض هلاوسها وعندما سألتها إذا كان لها علاقة هى الأخرى بآلام رأسها، ترددت ولم تستطع تأكيد العلاقة ولكن لم تنفها أيضا.. من هذه الهلاوس: \"بأشوف خيالات كتير..أشخاص صغيرة قوى زى اللى فى الصور(سألتها فقط بدافع الفضول لا أكثر إذا كانت ملونة) فهزت رأسها بالإيجاب بشدة : أيوة ملونة بتدخل فى دماغى و تخرج منها (سألتها إذا كانت تأتى من الخارج لتدخل دماغها أم أنها من الداخل إلى الداخل أيضا فبدا لى و كأنها فوجئت بالسؤال وأنه أثار تفكيرا ما فى رأسها ولكنها لم تستطع الإجابة... ربما فكرت أنه إذا كانت الصور من الداخل فكيف تراها إذن بعينيها..)

وعدت ألا أعقب

ولكنى أوصيك بان تنتبهى إلى أننا لا نرى الألوان إلا فى السينما، صحيح أن العالم ملون، لكننا لا نصفه بذلك، هل يمكن حين أراك أن أقول أننى رأيتك ملونة، وأنت كذلك حين ترينى، وبالتالى فإن مريضتنا حين لم تؤكد ولم تنف كانت صادقة تماما

أخيرا: فإنى أعتقد أن تساؤلك الأخير قد رددت عليه فى شرحى الحماسى الأول دون أن أدرى.

آسف يا أميمة، فقد كتبت الرد فى ظروف لم تسمح لى إلا بهذا.

ولنا عودة

الإثنيـــــن 28-07-2008

332- يـــوم إبداعـــى الخـــاص قصـــة قصيـــرة (!!!)

الجزء الأول: من الفصل التاسع من "الواقعة"

الجزء الأول: من ثلاثية "المشى على الصراط"

الأرض السابعة

..... تقول يا عم محفوظ أن الله موجود ورحمن ورحيم، فلماذا لا تنشق الأرض لتبتلعنى حتى ينتهى هذا الموال؟. لا يمكن أن يتحمل إنسان كل هذا الخزى والعجز، فكرت فى الاختفاء بأى وسيلة، فكرت فى السعى للعمل فى إحدى الدول العربية، ربنا أمر بالستر سأكتب إلى أخى فى ليبيا. لن أعدم حجة تبرر ترك أولادى وزوجتى هنا.

ثم جاء اليوم الذى عملت له ألف حساب حين تجرأت وحدثتنى فى الموضوع مباشرة:

- أرجو ألا تسئ فهمى.

فلتهبط السماء على الأرض قبل أن تعايرنى صراحة هذه الكتلة من اللحم الأبيض.

- خيرا إن شاء الله.

- لقد بحثت الأمر ودلونى على من "يعرف".

وقع المحظور، دلوك على من يا امرأة؟. هل أصبحت موضوع حديث الصالونات النسائية؟. من الذين دلوك يا ست هانم؟. هل نسيت كل ما أمتعتك به قبل ذلك.

طال صمتى حتى أكملت حديثها:

- قالوا لى إن هذه مسائل بسيطة ولابد أن بعض بلدياتك ساءه أن ترث طين المرحومة. استكثروا عليك النعمة رغم أنهما فدانان "عمي"، خافوا أن تأخذ الأرض من مستأجريها، فكادو لنا بذلك حتى يشغلوك عنهم.

ياصلاة النبى اتفضحت يا عبد السلام، وما كان قد كان.

- ماذا تعنين؟.

- كل عقدة ولها حلال،

يتردد نشيد الدوارة فى عقلى من جديد:"لف القيد. قيدى واقى". هاهم أولاء قد ربطونى حتى لا أقربك ياست الحسن بعد أن تفجرت حيوتك فى هذه السن بلا مناسبة. لماذا تتفتح خلاياك الآن بلا حساب، تريدين أن تغترف من بحر اللذة فى الوقت بدل الضائع؟. لا مفر من التمادى فى الحديث.

- وما العمل؟.

- سمعت عن بعض من يفكونه الربط فى جلسة واحدة، سيدة سودانية تعمل المعجزات.

فحالتى تحتاج إلى "معجزة"،... أين أخدود اللانهاية...

- هذا حقك يا ستى، ليس لى أن أعارض، ولكن كيف السبيل إلى ذلك دون فضيحة.

- لاتخش شيئا فهى سيدة فاضلة تدخل البيوت لترى الطالع وتشفى الأمراض، ولا أحد يسأل عن تفاصيل عملها. كلهم يعتبرونها بركة.

آه لو تعلمين؟. إسألى عم محفوظ. ربما كان هذا هو نهاية المطاف، أمشى فى حب الله مثل عبد الستار النجار، أو أدخل البيوت أساهم فى حل مشكلة العقم بطريقتى الخاصة بعد أن تفكوا ربطى بمعجزة سودانية.

بهانة لا توصف. ملأنى شعور بالكراهية نحوها ليس له مثيل. فى نفس الوقت دبت فى شهوة عارمة يصحبها شعور بالقتل. وتحفزت للتجربة بتحد وقسوة. تذكرت خيالاتى فى الحمام أثناء ممارسة اللذة الذاتية وكيف تدور فى كثير من الأحيان حول إحدى السودانيات التى لا يحتاج صدرها إلى رافع، ولا يحتاج إشعالها إلى ثقاب، سال لعابى حين وصلت إلى هذه المرحلة من التفكير، وتوقعت مفاجآت سارة متى أطلقت لجنونى العنان.

قلت فى استسلام خبيث.

- هاتيها، ولكن حدثينى عن التفاصيل.

- أبدا.. تحضر، وتأخذ "الأثر" وتقرأ بعض ماتعرف، ثم تنفرد بنفسها فى حجرة مغلقة. يقولون أنها تتعرى تماما حتى يحضر خادما من خدام السر، فتطرد الشياطين، وينفك العمل بإذن الله.

ولماذا يحضر خادمها ياست هانم، أنا خادمها بإذن الشيطان، أنت لا تعرفين شيئا عن نشاطى السرى فى الحمام، وربما كنت أنت السبب فى كل هذا. كم أبغضك وأنت تمثلين منظر البريئة المجنى عليها. منذ ماتت أمى وأنا أخاف منك دون سواك، قال لى الأخصائى أن أعضائى سليمة، ولكنه لم يقل لى أنك أنت سليمة. أخاف من الاقتراب منك أنت بالذات. هأنذا أتبين نوازعى بعد أن ثار جنونى نتيجة لامتهانك

لى وتحديك. أخاف من شهوتك الوقحة. أخشى أن أبيع لك نفسى دون مقابل. أخشى أن تطلى حياتى مقابل رضا شياطينك. أخشى أن أدخل فيك فلا أخرج أبدا. هذا بعض ما هدانى إليه عقلى الآخر. ذلك العقل السرى الذى يحلو لكم أن تسمونه جنونا. هاهو يأمره فيرقد فى الخط بلا حراك استخسارا لجهده أن يهدر لمن لا تستحقه، لمن لا يراه أو يرانى.

لم أعد أستطيع التعرف على طبيعتها الحنون وتقبلها الصامت. شككت فى رؤيتى لها حتى ونحن مخطوبان. هل كان ينبغى أن أجرب نفسى مع غيرها؟. ولكن ماذا لو فشلت المحاولة تخطت الفضيحة أسوار البيت؟. وماذا لو نجحت مع غيرها فزاد فشلى معها؟. ما باليد حيلة. سوف أقبل التحدى. شعور يخامرنى أنها ستدفع ثمن تطاولها بشكل ما. قلت فى نشوة غريبة.

- وهو كذلك.

* * *

جاءت فى اليوم الموعود، هى هى كما صورها خيالى، حول الأربعين، لكنها "هى". كنت مليئا بالتحدى والرغبة واليقظة. أخذت أنصت إلى ما تقول وأنا أكاد ألتهمها ضاربا عرض الحائط بكل ما تقرأ من آيات، وتعاويذ أغلبها غير واضح المعالم. بدأت بالنظر إلى نظرة أعرفها تماما، تلك النظرة القادرة على إرسال إشعاعاتها من عمق سحيق. تبينت أنها تنبعث من الأرض الخامسة. لم أهتز. لم أغض بصرى. أخذت المبادرة. نفذت إلى أعماقها أسرع منها وأكثر ثقة. وصلت إلى أرضها السابعة وما بعدها، اهتزت تحت هجوم نظراتى حتى كادت ترتج. بدأت تحاول أن تتجنب اقتحامى. التقينا فى ثوان وتيقنت أن المعركة انتهت لصالحى قبل أن تبدأ. أنا أكثر منك جنونا يا امرأة، هات ما عندك وتعالى معى أرفعك إلى السماء السابعة. ملكنى شعور طاغ بالزهو والمقدرة، ما أروع قوة الجنون السرية.

استمرت فى همهمتها وقد بدا عليها الارتباك وظللت أنا ثابتا كالطود واثقا من تفوقى ورجولتى ثقتى من جنونى. ألقيت نظرة على زوجتى ملؤها الحقد والتشفي، انتقلت إلى الخطوات التنفيذية، فعاودت النظر إلى المرأة بلا رحمة ولا تردد. يبدو أنها أدركت تماما أين أنا وما أنوى وأقدر عليه. ارتعدت أكثر ولم ترد، اهتزت هزة خفيفة لا تخلو من أنوثة بالرغم منها. لو سمح لون بشرتها للاحظت زوجتى درجة احمرارها.

قلت لها فى وقاحة:

- هه؟. ماذا تقولين؟.

- يبدو أن حالتك مختلفة.

- أسوأ أم أحسن؟.

- أخطر.

انزعجت زوجتى وبدا أنها على استعداد لعمل أى شئ حتى تنجح المهمة، لم أتوان فى انتهاز الفرصة. كنت أتصرف دون تفكير مستغلا حرص زوجتي، قلت:

- إذا كانت الحالة بهذه الخطورة فلاداعى للمغامرة.

قالت زوجتى فى انزعاج:

- لا تتعجل ولا تخف وسوف يأتى الله بالفرج.

الفرج يا أيتها الأتان سوف يكون على عينك ياتاجر. قلت فى خبث ريفى أصيل:

- أنا على استعداد لأى شئ، حتى للدخول معها إلى خلوتها إذا كان ذلك ضروريا لتخليصى منهم.

أطرقت المرأة وقد بلغتها الرسالة. حاولت أن تسيطر على مشاعرها قدر الإمكان، ثم نظرت إلى زوجتى من طرف خفي، فواصلتُ الهجوم.

- إلا إذا كانت حالتى ميئوس منها إلى الأبد.

قفزت زوجتى -كما توقعت- ترجوها أن تفعل أى شئ أى شئ فيه "الصالح". حاولت أن أطمئنها بخبث فواصلت الحديث مع المرأة بعد أن اطمأننت أنه قد بلغها من أنا، قلت لها مشيرا إلى حجرة النوم.

- أنا تحت أمرك. والله معنا. طبعا لا داعى للتعرى فى هذه الحالة.

نظرت إلى المرأة فى تحد مستسلم. قررت ألا تراجع مهما كان الثمن فقلت متصنعا:

- أخشى أن يصيب بعض الآخرين أذى من تحت الأرض إذا ما حضروا "بسم الله الرحمن لرحيم".

ردت زوجتى فى حماس:

- الأولاد فى المدارس، والبنت صرفتها ولن تعود الآن، عملت حسابى خوفا من الشوشرة.

نظرت المرأة إلى الأرض وقالت وكأنها تسألنى:

- والست هانم؟.

- تأكدت أن الخيوط كلها فى يدى فقلت وكأنى أنا الذى أتولى مهمة إخراج الشياطين.

- تلزم حجرتها وتواصل قراءة القرآن دون توقف حتى ينتهى فك العمل، هذا ما فهمته أليس كذلك؟.

أومأت المرأة باطمئنان. فتماديت وسألتها إن كان سوف يحدث ضرر كذا أو كذا إذا توقفت زوجتى عن قراءة القرآن،

فانبرت زوجتى أنها لن تتوقف ولن تغادرالحجرة الأخرى ولا ثانية واحدة حتى تنتهى المهمة.

استأذنت زوجتى فى رضا وابتهال وهى تدعو لنا بالتوفيق. قامت المرأة إلى الحجرة المعنية وهى ترتعد وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، تبعتها وكنت واثقا، من كل ما أعمل ثانية بثانية. وكأنى أعددت كل شئ من قبل. أحكمت إغلاق الباب واتجهت إليها فى صمت، وهى لا تستطيع أن ترفع عينيها فى، ألاحقها بنظراتى فتهزم قبل أن تتمكن من مجرد البحث عن مقاومة. أمتلئ قوة ممزوجة بالفخر والنصر والجنون، أحسست أنى أستطيع فى هذه اللحظة أن أصهر الحديد.

قالت وصوتها يرتجف بالخوف والرغبة:

- ماذا تريد منى؟.

- لم أرد وازددت اقترابا، فقالت:

- من أين طلعت لى اليوم؟.

- أنت تنتظرينى من زمان.

قالت وكأنها ضبطت متلبسة:

- أنت إبليس ذاته.

قلت فى فخر.

- أنت تريدينى هكذا، فلن يغرقك فى بحر اللذة المجنونة إلا من هو أجن منك.

- لا حيلة لى معك.

ساد الصمت ولم أبد حراكا ولا تعجلت. وكأنى أتمتع بمشاهدة هذا الأبنوس الحى وهو يغلى رغبة وغيظا.

انتظرت حتى يسيح انصهارا.

قالت وكأنها تصيح:

- هيا وخلصنا.....

* * *

قالت وهى مازالت تتفصد عرقا وتحاول أن تفيق من شبه الغيبوبة.

- من أنت؟.

قلت ومازلت فخورا بدرجة جنونى:

- من أنتِ؟.

طأطأت رأسها وقالت وكأنها تحدث نفسها.

- ما كان لى أن أستسلم لك. لن أغفر لنفسى ما حييت، قلت ومازلت فى نشوة جنونى.

- رحمة الله وسعت كل شئ;;

قالت فى قوة جديدة لا تتناسب مع استكانتها السابقة.

- إخرس يا شيطان.

.....

الثلاثـــــــاء 29-07-2008

333- استـــــدراك حـــــول فـــــرض "العيـــن الداخليـــة"

تنبيه هام

لقراءة هذه النشرة الخاصة اليوم بصورة أفضل وأسهل ننصح أن يتم حفظها أولاً Save على حاسوبك، ثم تطّلع عليها حيث حفظت، كل هذا على شرط أن يكون جهازك مزود ببرنامج Power Point

وفى حالة عدم إمكان ذلك أرجو أن يتقبل الزائر اعتذارنا حتى نعود إلى الأمر تنظيرا فى نشرة قادمة.

بعد نشر الرد على استشارة يوم الأحد الماضى، وردتنا تساؤلات واضحة عن ماذا نعنى بـــ "العين الداخلية"، وهل هو تعبير مجازى، أم فرضٌ عملى.

أنا أتعامل مع هذه الظاهرة باعتبارها حقيقة بيولوجية لايمكن إثباتها، لما يلى:

أولاً: أنها ظاهرة تتعلق بوحدات الزمن المتناهية الصغر التى تتم فيها عمليات الإدراك.

ثانياً: أنها تتم فى مستوى وعى (بيولوجى أعمق).

ثالثاً: أنها تتعلق بوظيفة الادراك (الحسى وغير الحسى) وليس التفكير أو الخيال.

وبالتالى فهى ليست فى متناول الاثبات بالمناهج المتاحة،

وبرغم قصور إثباتها نهائيا، إلا أن تطبيق هذه النظرية – أو الفرض أو الافتراض _ قد أفاد فائدة قصوى فى الممارسة العملية.

- فى فهم الأحلام من جهة وخاصة نوم حركة العين السريعة REM Sleep،
- ثم فى التعامل مع التفسير الغيبى للمرض النفسى (الجان والأسياد والمخاوية..إلخ) وأيضا الهلاوس ، وإلى درجة أقل الضلالات،
- وأخيراً فى النقد الأدبى والإبداع

ومرحلـيا: ننصح بالرجوع الى شرائح وثيقة Dreams Psychosis & Creation في الموقع

وهى على برنامج power point وفيها تفصيل أشمل.

وقد اخترنا منها شريحتين لهذه النشرة لعل الأصدقاء والزوار يشاهدونها حتى نلتقى تفصيلا فى تنظير أوضح فيما بعد.

الإربعـــــاء 30-07-2008

334- الوجـــــدان واللغـــــة والترجمـــــة (2008!!)

وقفة
ثورة ضرورية
لم تعد المسألة اختيارا

مضطر أنا أن أعترف أنني أضع للخبرة المباشرة التي يتيحها تخصصي- كمصدر للمعرفة- قيمة أكثر مما تستحق، أو على الأقل أكثر مما شاع عنه .

يواجهنا المريض الفصامي مثلا، **(راجع بعض حالة د. أميمة يوم الأحد الماضي مثلا)** باقتحام تحطيمي للغة، وعلينا أن نصبر على استعمالاته حتى نتواصل معه ونتعلم منه

على الجانب الآخر يواجهنا الشعر الأحدث فالأحدث بإعادة تشكيل اللغة إذ يقوم بتفكيكها حتى خشية التناثر، لكنه لابد أن يقدر – ليكون شعرا- على احتواء وحداتها في "صورة" جديدة ليست مجرد تجاوز للألفاظ التي تنشطت بالسياق الجديد.

ماذا نفعل بالله عليكم ونحن نتاول ظاهرة الوجدان سنة 2008 هكذا؟

رجعت إلى ما نزل في النشرة بهذا الشأن (يومية 14-11-2007 "ماهية الوجدان وتطوره")،(ماهية الوجدان وتطوره عدد إبريل 1984 الإنسان والتطور)، (يومية 17-11-2007 "كيف لا نحبس الظاهرة في لفظها؟")، (يومية 18-11-2007عن الوجدان والحزن)، (يومية 3-6-2008 تجارب تحريك الوجدان)، هذا فضلا عن أصل القضية وهو موجود في الموقع باسم "مسئولية الترجمة بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة"،

وأيضا بالإضافة إلى كل النشرات التي نزلت عن الحب والكراهية ونعيد الإشارة إليها كما يلي:

رقم النشرة	التاريخ	عنوان النشرة
264	08-05-21	لعبة الكراهية
270	08-05-27	الاستجابات على لعبة الكراهية "كل مشارك على حدة" بدون تعليق

271	28-05- 08	قراءة فى قيمة الكراهية من خلال الاستجابات: لعبة بلعبة (ليس تحليلاً أو تفسيراً)
277	03-06- 08	تجارب تحريك الوجدان لإعادة النظر مقدمة للرد على حوارات لعبة الكراهية
284	10-06- 08	وتعلم: كيف تكره (1) البحث عن تفعيل الكراهية فى العلاج الجمعي
285	11-06- 08	وتعلم: كيف تكره (2) "يمكن لمّا أعرف أكرهك أقدر.."
291	17-06- 08	الفروض الأساسية الافتراضات الأساسية حول: "جوهر الكراهية"
292	18-06- 08	نصوص جديدة عن الحب والكره: إستجابات
305	01-07- 08	ملف الحب والكره نحن نخاف من الحب،..!! وننكر الكراهية!! إذن ماذا؟
312	08-07- 08	ملف الحب والكره والعواطف إجابات لأسئلة ليس لها إجابات (1 من 2)
313	09-07- 08	ملف الحب والكره والعواطف إجابات لأسئلة ليس لها إجابات (2 من 2)
319	15-07- 08	عودة إلى: ملف الحب والكره هل ثم وجدان جديد يتخلق: "ألعاب الحب"
320	16-07- 08	عودة إلى: ملف الحب والكره هل ثم وجدان جديد يتخلق: "الفرض"
326	22-07- 08	ملف الحب والكره تراجع أم مراجعة؟ (1 من2) عن "الكره" و "الكراهية" خبرة شخصية حديثة !!
327	23-07- 08	ملف الحب والكره عن إعادة النظر فى الحب (2 من 2) خبرة شخصية حديثة

من خلال كل ذلك، وجدت أن الاستمرار فى مناقشة قضية الحب والكره دون الرجوع ولو إلى هذه اليوميات السابقة قد يعرضنا إلى تكرار غير مقصود، وأيضا يمكن أن يقلل من فرص الترتيب الأدق.

وقفة

من هنا جاءت هذه الوقفة لكى ننصح من خلالها الزوار الأصدقاء الجادين – وكلهم كذلك- بالرجوع إلى الأسئلة المطروحة والقضايا المفتوحة، والتى لم تنل حقها فى المناقشة أو التعقيبات أو الاستجابات أو التساؤل على التساؤل. خذ مثلا **نشرة 8-7-2008** وبها 25 تساؤلا. أنا لا أنكر أنه قد وصلنى فى بريد الجمعة بعض الاستجابات الجادة والمفيدة والمبدعة أحيانا، لكنها غير كافية لتحفيز الاستمرار، ومع ذلك سوف نستمر.

خذ الإشارة إلى الموقف من المعاجم حين أشرت أننى فى عام 1974 قمت باستشارة المعاجم – كبداية – المعاجم العربية أولا ثم الأنجليزية وإذا بى أفاجأ بما أثنانى عن الإكمال،

هل هما لغتان: العامية والفصحى؟

فوجئت أخيرا كما فوجئ غيرى أثناء القيام بالألعاب الكاشفة أن الترجمة من العامية إلى الفصحى هو أمر يفقد اللعبة حركيتها التى تغوص إلى داخلنا لتسرقنا إلى حيث لم نكن نعرف، أو إلى حيث لم نكن نعتقد أننا هكذا.

حين قدمت فى ساقية الصاوى ندوة شعرية منذ سنوات، ألقيت فيها بعض أشعارى ومنها اعتذارى للفصحى أعلنت – شعرا بالعامية المصرية- أن الفصحى ستظل حبيبتى " حتى لو "ضرتها غازية بتدق صاجات" كان يحضر هذه الندوة الصديق سعد هجرس الذى التقط إقرارى بأن العلاقة بين العامية والفصحى تحتاج إلى ترجمة مثل أى لغة مختلفة، مستشهدا بقولى:

أصل الحدودتة المرّادى كان كلها حسّ

والحس طلع لى بالعامى بالبلدى الحو

والقلم استعجلْ

مالحقش يترجمْ، لتفوتُهْ أيها

همسة أو لمسة أو فتفوته حسّ

قال لى "سعد" بعد "الندوة"، يا خبر!! لقد كشفَت بذلك حقيقة خطيرة وهى أننا نترجم أحاسيسنا حين نتكلم أو نعبر عنها بالفصحى.

أعيد قراءة هذا المقطع فأكتشف أننى منذ كتابتى له سنة 1974 (قبل نشره بسنوات) كنت أشعر أن الاستعجال الذى أطالب به المشاركين فى الاستجابة للعبات هذه الأيام هو الذى يخرج "الحس التلقائى = الوجدان الأصل" وإلا فسوف تفوتنا أيها همسه، أو لمسة، أو "فتفوتة حس".

ثم إنه حدث بعد ذلك مع بداية تقدمنا بالألعاب - أن اقترح د. جمال التركى كتابة الألعاب بالفصحى (أيضا) وحاولنا ذلك فعلا، ومن خلال هذه المحاولة وجدنا أننا، مع استعمالنا الفصحى إنما نحيل مشاعرنا إلى جوهر آخر قد لا يتطابق أبدا على نفس المشاعر إذا ما استعملنا العامية فى نفس اللعبة (بدا لى ذلك صحيحا حتى وأنا أقرأ إستجابه د.جمال بالعامية التونسية فكان إيقاعها يصلنى جميلا عميقا قبل أن يترجمه إلى الفصحى)، هكذا أشار أيضا د. محمد يحيى الرخاوى وآخرين فى تعليق له، أظن أننا ألمحنا إليه فى بريد الجمعة وآخرين.

تعالوْا نقرأ رباعيات جاهين، أو تعالوا نقرأ الأبنودى كله ونحاول أن نترجم أى قصيدة من قصائده عبّر عنها بالعامية الصعيدية القناوية إلى عامية وجه بحرى (بورسعيد مثلا)، وسوف نعرف **أن اللغة ملتحمة بالوجدان بشكل لم يخطر على بال**، وأن ترجمة الوجدان من خلال مقابلة ألفاظة ببعضها هى استحالة عملية بشكل أو بآخر.

ترجمة العواطف من وإلى لغة أجنبية

إذا كان هذا هو الحال فى الترجمة من العامية إلى العربية وبالعكس، فكيف يكون الأمر إذا قمنا بالترجمة من أو إلى لغة أجنبية؟

فى أطروحة باكرة **"مسئولية الترجمة بين تسطيح الوعى واختزال المعرفة"**، عرضت مخاوفى على تشكيل وعينا بما يتعلق بالوجدان خاصة، أشرت إلى كيف أن أى واحد منا حين يتأثر بالأطباء النفسيين ولغتهم الأجنبية ذات الرطان الأحدث، ويصف حالته وهو يقول "أنا مكتئب" فهو قد يعبر عن مشاعر أخرى غير قوله "أنا حزين" أو "مهموم".. إلخ ثم عدت فأوجزت هذه القضية فى هذه النشرة **بعنوان "عن الوجدان والحزن 18-11-2007".**

سارتر وترجمة نظريته

ثم إننى وأنا أحاول الإعداد لمرحلة التنظير لأناقش التعقيبات والاستجابات التى وردتنا حول الحب والكره، بدأت بإعادة قراءة سارتر "نظرية فى الانفعالات ترجمة "د. سامى محمود على" (وهو محلل نفسى ممتاز ومترجم رائع")، وقد فوجئت بالمترجم يستعمل كلمة "شعور" طول الوقت، ولم أفهم ماذا يعنى بذلك حتى منتصف الكتاب، وإذا به (استنتاجا منى بعد أن قطعت كل هذا الشوط،) يعنى "الوعى"، (غالبا) - يا خبر!! كيف هذا، بهذه البساطة، وقد التمست له العذر طبعا حين راجعت تاريخ نظرية سارتر 1939 ثم تاريخ الترجمة 1965 ولم أحاول أن أحكم عليه وأنا مازلت محتاراً حتى الآن فى تحديد ماهية الوعى، بعد كل ما أضيف إلى مفهومه وما أحاط بطبيعته (2008) اكتشفت ما يعنيه المؤلف بكلمة "الشعور" حين تكرر استعماله لكلمه "اللاشعور" بمعنى عكس هذا الشعور الذى يعينه، وهكذا وصلت إلى فك شفرة ترجمة سامى على، التى جعلتنى أبعد أكثر فأكثر عن نظرية سارتر.

الـوعى/ الـعقل/ الـوجدان:

الآن، ونحن نتناول قضية الوجدان من جديد ونستعمل كلمة "الوعى" بمعنى العقل الآخر، أو نتكلم عن مستويات الوعى وتعدد مستويات الوجدان، أو حين نشير إلى وعى النوم ووعى اليقظة ووعى الحلم باعتبارها مستويات الإيقاع الحيوى، أو حين يتكلم "دانييل دينيت" عن أنواع العقول، وهو يعنى البرامج الهيراركية الغائية على سلم التطور، وهى التى تقابل "الوعى الخاص البقائى" الهادف، فى كل تلك الأحوال نجد أننا فى موقف يحذرنا كل التحذير من الاستسلام لأى ترجمة دون تمحيص.

ارتباط عاطفة ما بوعيها بلفظها العامى بتاريخها المعجمى بالمقابل بالفصحى هى أمور أساسية فى تناولنا لأى وجدان وعاطفة، ناهيك عن الترادف المستحيل بين كلمات مثل **"العواطف"** و**"المشاعر"** و**"الأحاسيس"** و**"العاطفة"** و**"الانفعال"** و**"الوجدان"**.

كيف بالله عليكم نتناقش معا إذن والمسألة أصبحت بكل هذا التشتت والتداخل والغموض؟ خاصة وأن المعاجم قد تمثل عبئا آخر، وليس وسيلة توضيح، كما أن بعض الاستشهادات بتفسيرات التنزيل المقدس قد تمثل وصاية فوقية أخرى غير مقصودة طبعا- على حركية الجدل الذى نحن بصدده.

سجن المعاجم واحترام المقدس

لا غنى عن المعاجم، ولابد من احترام المقدس، إلا أنه لا المعاجم وصية على حركية اللغة، ولا المقدس تمتد قداسته خارج سياقه، وهو يستعمل لفظاً بذاته فى سياق بذاته،

هذه قضية مبدئية أخرى لابد من الانتباه إليها.

المعاجم ليست إلا إثبات ما اتفق عليه فى مرحلة تاريخية ماضية فهى، ليست نهاية المطاف ولا ينبغى أن تمثل سقفاً يمثل وصاية السلطة، أية سلطة.

وقد اخترت معجمين صغيرين أحبها جدا، لأبين – كمثال – كيف أشار كل منهما إلى الكره، فى حين أننى تعمدت ألا أستشير المعاجم الموسوعية الأكبر (لسان العرب، وتاج العروس والمحيط) مع أن بها جميعا ما يؤيد توجهى هنا

****

الكره فى أساس البلاغة (الزمخشرى)

ك ر هـ – أمر كَرِيهٌ. ووجه كريه، وقد كَرُه كَرَاهةً

وتكَّره الشيءَ: تسخّطه، وفعله على تكّره وتكارُهٍ، ومتكّرهًا ومتكارِهًا.

ومن المجاز: شهدتُ الكريهةَ: الحرب

****

الكره فى الوسيط (مجمع اللغة)

(كَرِهَ) الشيء – كَرْهاً وكَرَاهة وكَرَاهية: خلاف أحَبَّه. فهو كَرِيهٌ ومكروه.

(كَرُهَ) الأمرُ والمنظرُ – كَرَاهة وكَرَاهية: قبح. فهو كريه.

(أكْرَهَهُ) على الأمر: قهره عليه.

(كَرَّهَ) إليه الأمرَ: صيَّرَه كريهاً إليه.

(تكاره) الشيء: كَرهه. ويقال: فعل كذا متكارهاً: فَعَله وهو لا يريده ولا يرضاه.

(الكَرِيهة) الحرب أو الشِّدَّة فى الحرب

يقال: شهدتُ الكريهة و– النازلة

****

...فنلاحظ كيف أن كلا المعجمين، خصوصا الزمخشرى، لم يفعلا إلا أن استعملا الكلمة، مع إضافة أن الوسيطَ زاد أن الكره يعرف بعكسه "خلاف الحب".

فكيف بالله عليكم نبدأ بالمعاجم وهى نفسها توصى – ضمناً – بالبدء بالتجربة المتحررة من سجن لفظ مغلق.

****

تكرار حاسم:

- إن التصالح على الكره ليس دعوة إلى ممارسته جزئيا منفصلا

- إن القول بأن الكره طبيعة بشرية، وأن الإقرار به هو أدعى للتعامل معه لينطلق فى أفضل تجلياته البقائية، بما يجعله لا ينفصل عن موضوعية العلاقة بالآخر التى نفرح بتسميتها "الحب" دون الكره.

- ما وصلنى هو أن كل ما ورد فى القرآن الكريم كان متعلقا بالكره والاكراه ليس له علاقة مباشرة بالكره الأصيل فى طريق التكامل الذى هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، وإنما هو يشير إلى الكره المنفصل المباعد النافر القاهر.

- إن الحب بهذا المعنى ليس ضد الكره، ولكن الحب، منفصلا عن الكره يمكن أن يكون أكثر تسطيحا وأسهل مما لو كان فى جدل معه.

وبعد

فلتكن هذه اليومية دعوة لمراجعة المنهج واللغة وعلاقتها بدراسة الظاهرة اللاحق، حتى لا نكتفى بالتوقف عن لفظ فى كتاب، أو تعريف فى معجم، أو تنزيل مقدس له سياقه الخاص، فيبعدنا عن غايتنا الخبراتية اليقظة الناقدة.

وفيما سبق تناولنا ظاهرة الكره كمثال، أما عن الحب فالمسألة أكثر أشكالا فننصح بمراجعة نشرات **(يومية 7-10-2007 الخوف من الحب "1")**، **(يومية 8-10-2007 الخوف من الحب "2")**، **(يومية 1-7-2008 نحن نخاف من الحب وننكر الكراهية!! إذن ماذا؟)**.

– انتبهت إلى دلالة كل ذلك حتى كدت أتراجع عن الإصرار على كتابة الحوار في قصصي بالفصحى، وبصراحة لم أستطع حتى الآن.. إلا قليلا، (أنظر آخر قصة كتبتها من يومين وهي التي ستظهر يوم السبت القادم هنا بعد أن ظهرت في تعتعة الدستور اليوم "فرسكا").

الخميـــــــس 31-07-2008

335- أحـــلام فتـــرة النقاهـــة "نـــص علـــى نـــص"

نص اللحن الأساسى (حلم 77)

انعطفت إلى الشارع الجانبى الهادئ حاملا حقيبتى بيدى، وسرعان ما تلقيت من الطريق سيلا من الذكريات والأشواق المخفوفة بالقلق والخوف.

وتوقعت عتابا على غيبتى غير القصيرة واستعددت له بالمعاذير المناسبة.

وبلغت مدخل العمارة. فلاحت لى الشقة الأرضية على بعد أربع درجات من السلم وضغطت على الجرس متطلعا بوجه باسم، وفتحت الشراعة عن وجه رجل غريب فى جلباب منزلى يوحى بأنه صاحب المكان وفجأة هوى وجدانى الملتهب إلى قاعة مجيرة جليدية وفكرت بسرعة فى اختلاق كذبة تنتشلنى من ورطتى فادعيت أنى تهت وأبحث عن سكن فلان أفندى المدرس وأننى ضللت العمارة فقال الرجل وهو يتفرس فى وجهى بارتياب وتحفز.

- هذه شقته وهو فى الداخل فمن حضرتك لأبلغه؟

وأدركت أننى انكشفت وخرست مبهوتا فارتفع صوت الرجل وهو يقول:

- ما أنت إلا كذاب وفاسق مثل جميع من جاءونى قبلك.

ولم أطق المزيد فهرولت نازلا وكدت أفقد توازنى فسقطت الحقيبة من يدى وانفتحت فظهر داخلها زجاجة نبيذ وكيلو كباب فى طبق من ورق، ولكنى لم أكن أفكر إلا فى أمر واحد وهو أن أختفى فى سرعة البرق.

التقاسيم

.... انطلقت إلى الشارع الرئيسى مهرولا أنظر خلفى خائفا، وأسرعت الخطى وأنا أتلفت، حتى مضى وقت كاف، ثم وجدت نفسى أرجع من نفس الطريق، وصلت إلى نفس الشارع الجانبى، وبعد أن تأكدت من خلوه من المارة- اتجهت مباشرة إلى حيث سقطت الحقيبة ووجدت أن زجاجة النبيذ لم تنكسر، كما كان كيلو الكباب ملفوفا كما هو داخل طبق الورق، ولم أكد ألمسه

حتى فاحت رائحة كريهة، فكرت أن آخذ زجاجة النبيذ وأمضى مستعوضا الله فى كيلو الكباب، لكننى قررت أن أتخلص من لفة الكباب وكأنها ستدل علىّ، فى أقرب صندوق قمامة، حملتها بعيدا عنى ما استطعت تجنبا للرائحة، وإذا بسرب من القطط المتوحشة تهجم على اللفة فى يدى فتركتها تسقط وهممت أن أعدو بعيدا إلا أننى تسمرت فى مكانى وكأن شللا أصابنى، هجمت القطط المتوحشة على اللفة تنهشها نهشا، وخفت أن يأتى الدور علىّ وأنا فى هذه الحال من الشلل، وذا بى أجد مجموعة أكبر من الكلاب المتوحشة تقترب عدوا من أقصى الشارع، فتدور معركة دموية بين القطط والكلاب، وأنا أزداد رعبا وأزداد عجزا، وفجأة لاح لى قادم من بعيد أنست له وكدت أستغيث به ، ثم تبينت أنه الرجل الذى فتح لى الباب، وحين لمحنى وتأكد من أننى أنا، أشار للكلاب والقطط بيده إشارة سحرية غامضة، فتوقفت المعركة، وانصرفت الكلاب إلى ناحية، والقطط إلى ناحية، فتنفست الصعداء، اقترب منى الرجل وقال : إنى آسف، حسبتك أحدهم، لكن "فلان أفندى" صاحب الشقة صححنى بعد انصرافك، وقال لى إنه كان ينتظرك فعلا، وقد أرسلنى لأستدعيك وأعتذر لك، كدت أقول له أننى لا أعرف شخصا بهذا الاسم أصلا، وأنها ليست الشقة التى كنت أقصدها، لكننى خفت أن يُرجع الكلاب والقطط المتوحشة بإشارة سحرية أخرى مثلما صرفها، فوافقت، وسألته: طيب والسيدة؟، هل هى موافقة،؟ فقال إنها هى التى قالت للرجل أن يرسلنى للاعتذار واستدعائك،

تبعت الرجل فرحا وأنا أسرع الخطى لألحق به، لكن المسافة ظلت تزيد بيننا بشكل متسارع، حتى اختفى، ووجدت نفسى فى شارع آخر، به عمارات أخرى، وكانى فى زمن آخر، لكننى سمعت نباح الكلاب ومواء القطط وهى تدنو أكثر فأكثر، فعرفت أن المؤامرة قد حبكت أطرافها أوثق مما كنت أتصور، وسلمت أمرى لله.

****

نص اللحن الأساسى (حلم 78)

يالها من جنازة كبيرة، لا أدرى كيف انضممت إليها، فإنى لا أعرف أحدا من المشيعين. بل لا أعرف الميت، والأغرب أن الجنازة سلكت طريقا لم تسلكه الجنازات من قبل، فقد اتجهت نحو شبكة من قضبان السكة الحديد. وعبرنا بها إلى الخلاء حيث توقفت عن السير طلبا للراحة، على حين واصلت القطارات سيرها نحو الشمال ونحو الجنوب وعلا جدل بين الملتفين حول النعش. فريق يرى أن يحمله إلى الجنوب. وفريق يريد أن يحمله إلى الشمال، وكلا الفريقين يزعم بأنه ينفذ وصية الراحل، وصاح أحد العارفين يذكر القوم بأن الراحل ولى من أولياء الله الصالحين، وأنه لن يسمح لأحد بحمله إلى جهة لا يرضاها، وأمن القوم على قوله. وجرب فريق الجنوب حظه ولكنه عجز عن حمل النعش وجرب فريق الشمال فمنى أيضا بالفشل .. عند ذاك أدرك الجميع أن ولى الله يأبى أن يغادر الموقع الذى هو فيه وسطا بين الجنوب والشمال.

التقاسيم

.... مع الوقفة التى طالت بلا حل قريب، أخذ بقية المارة يتجمعون ويتساءلون، بعضهم يحظى بإجابة كاملة لكل الذى حدث والآخرون لا يجدون جوابا لأنهم يسألون من لا يعرف، وتوقف المرور، وأخذت الصيحات تتعالى "ماهذا؟ نريد أن نذهب إلى مصالحنا"، "أفسحوا لنا طريقا إلى القطار الذى سيفوتنا"، وفعلا سمعنا صوت صفير القطار وهو يتهادى أهدأ فاهدأ نحو المحطة واكتشفت أن الجمع قد تزحزح بالعرض بما فى ذلك حملة النعش الذين أنزلوه إلى موقع فوق القضبان، وفجأة انطلق القطار بسرعة فائقة على غير العادة، فانصرف من تبقى جريا فى كل اتجاه، وامتلأت قلوب الجميع رعبا أن يدوس القطار جثة ولى الله، فتلحق اللعنة بكل الناس وهم يعلمون ما كانت له من معجزات وكرامات، لكن المعجزة حدثت فعلا، فقد توقف القطار فجأة برغم سرعته القصوى على بعد أمتار من النعش، فهلل الناس وكبروا، وقرروا فى أنفسهم أن يقيموا لولى الله مسجدا فى هذا الموقع، يدفن فيه دون الشمال أو الجنوب، ثم حدثت معجزة أخرى التى ما زال الناس يتحدثون عنها فى حيرة، وفرحة، ورفض، وتسليم، إذ صدر صوت من داخل النعش يدندن بشكل واضح، "فيك عشرة كوتشينة، فى البلكونة" فرد صوت من داخل القطار "هوا دا يخلص من الله".

وانتظم الناس فى حلقات ذكر على مديح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يسمع أحدهم مثل جماله وأنغامه فى حياته.

وانتظمتُ معهم أذكر الله وأنا فى حال.

جويليـــــــــــة 2008 :أسبـــوع4

إصـدارات شبكـة العلـوم النفسيـة العربيـة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2008

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور -مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008